موقعة الحَرَّة

تأليف

د/ عبد الفتاح عبد العزيز رسلان

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط

المقدمـــة

المقدمة

الحمد لله رب العلمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد

فهذا بحث عن " موقعة الحَرَّة " التي حدثت في خلافة يزيد بن معاوية –بين أهل المدينة من جهة ، وجيش يزيد بن معاوية من جهة أخري– وذلك في آخر شهر ذي الحجة من السنة الثالثة والستين للهجرة ، وقد تحدثت فيه عن الظروف التي في ظلها حدثت هذه الموقعة ، وكيف أنها حدثت في جَوٍّ مشحون بالتوتر والاضطرابات السياسية والسُّخْطِ علي يزيد ؛ حيث بدأ يزيد ولايته علي المسلمين في شهر رجب سنة ٦٠ هـ ، و قبل أن يمضي على استخلافه ستة أشهر قُتِلَ الحسينُ بنُ عليّ في المحرم سنة ٦١ هـ ، فكان قتل الحسين –مع بعض الأمور الأخرى– سبباً في زيادة التوتر والاضطرابات السياسية في الدولة الإسلامية .

ثم تحدثت عن مقدمات الموقعة ، وقيام أهل المدينة بخلع يزيد بن معاوية –مطيعين في ذلك عبد الله بن الزبير– وعِلْم يزيد بذلك ، وطَلَبِه من عثمان بن محمد عامله علي المدينة أن يُوَجِّهَ إليه وفداً من أهلها ؛ ليستمع مقالتهم ، ويستميل قلوبهم ، وذهاب الوفد إليه ، وقيام يزيد بإكرامهم والإحسان إليهم ، وَوَصْلِه كُلَّ واحد منهم بخمسين ألف درهم ، وانصرافهم من عنده ، ووصولهم إلى المدينة ؛ وإظهارهم شَتْمَ يزيد وقيامهم بخَلْعِه ، ومتابعة الناس لهم علي خَلْعِه ، ومحاولة يزيد استدراكَ الأمر ووأْد الفتنة في مهدها ، بإرساله النعمان بن بشير الأنصاري إليهم ، وفشله في ذلك .

وتحدثت بعد ذلك عن قيام يزيد بن معاوية بتجهيز جيش كبير جَرَّارٍ بكل ما يحتاجه من خيل وسلاح وعتاد كامل ومئونة لازمة ؛ تمهيدا لقتال أهل المدينة الذين رفضوا الرجوع إلى الطاعة والجماعة ، وتعيينه مسلم بن عقبة المري قائدا عليه ، وتعليمات يزيد بن معاوية له ، وتأكيده على دعوة أهل المدينة إلى السمع والطاعة ، وتَرْكِهِمْ وعدم قتالهم وإصلاح أحوالهم المعيشية إن أجابوا إلى ذلك .

ثم تحدثت عن استعداد أهل المدينة للحرب ، وقيامهم بصب زقٍّ من قطران في كل ماء بينهم وبين أهل الشام ، و حفرهم خندقا حول المدينة ، وجعلهم جيشهم أربعة أرباع ، علي كل رُبْعٍ منهم أمير ، الأمر الذي جَعَلَ الحربَ أمراً محتوماً لا مَفَرَّ منه .

وتحدثت كذلك عن وصول جيش الشام إلى المدينة ، ونزوله عند الحَرَّة شرقي المدينة ، وتنفيذ مسلم بن عقبة تعليمات يزيد بدعوة أهل المدينة إلى السمع والطاعة ، وتَعَهُّده لهم بأن يعطيهم عطاءين في العام ــ عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف ــ وأن يُحَسِّن أحوالهم الاقتصادية ، وإمهالهم ثلاثة أيام ، وإصرار أهل المدينة علي خلع يزيد وقتال جيشه ، فلم يكن هناك بُدٌّ من القتال .

ثم تحدثت عن المعركة ، وكيف بدأت ، وموقف الطرفين المتحاربين أثناء القتال ، ودخول أهل الشام إلى المدينة من وراء ظهر أهلها ــ مِنْ قِبَلِ بني حارثة ــ الأمر الذي أربك أهل المدينة ، وكان سببا رئيسيا في هزيمتهم .

وتحدثت أيضا عن أمر ارتبط ذكره بهذه المعركة في معظم المصادر التاريخية ؛ وهو موضوع إباحة المدينة بعد المعركة ــ ثلاثة أيام ــ وهَتْك أعراض النساء بها ، فعرضت أقوال المؤرخين في ذلك ، وناقشتها وفَنَّدْتُهَا ، وبينت أن هذا الأمر لم يحدث ، وأنه ليس إلا قصة مختلقة ولا أساس لها من الصحة .

وتحدثت بعد ذلك عن كثرة القتلى في هذه المعركة ــ من الصحابة وأبنائهم ، ووجوه الناس وعامتهم من قريش والأنصار ــ واختلاف المؤرخين في ذلك . ثم تحدثت عن دعوة مسلمُ بنُ عقبة مَنْ بَقِيَ مِنْ أهل المدينة إلى البيعة ليزيد على أنهم خَوَلٌ له يَحْكُمُ في أهليهم ودمائهم وأموالهم ما شاء ، فَمَنْ امتنع من ذلك قتله ، وَمَنْ بايع نَجَا ، فقُتِلَ بسبب ذلك جماعة من أشراف المدينة .

وختمت ذلك كله بسؤال مهم ، ذكرت في الإجابة عليه أن أهل المدينة لم يكن لهم حَقٌ في الخروج علي يزيد بن معاوية وخَلْعِه ، وبالتالي فإنهم يتحملون المسئولية عما حدث ، وأن يزيدَ بنَ معاوية كان يجب عليه أن يصبر علي أهل المدينة أكثر من ذلك ، لا أن يكتفي بإنظارهم ثلاثة أيام .

ثم تحدثت في الخاتمة عن أهم النتائج التي خرجت بها من هذا البحث المتواضع ، الذي أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت فيه .

وقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر عديدة من أمهات الكتب التاريخية ، بالإضافة إلى بعض المراجع الحديثة ــ وقد ذكرتها جميعاً في ثبت المصادر والمراجع بآخر البحث ــ وقد أفادتني المصادر التي اطلعت عليها في استقاء المادة العلمية الخاصة بالموضوع ، أما المراجع فقد أفادتني في نقل آراء وتعليقات الباحثين المحدثين على حوادث هذه الموقعة ، وتأييدها أو الرد عليها .

وأحب أن أذكر هنا أنني اقتصرت في الحواشي على ذكر اسم المؤلف ، واسم الكتاب، ورقم الجزء ، ورقم الصفحة ؛ من باب الاختصار والتخفيف ، فلم أذكر رقم الطبعة ، وتاريخها ؛ اكتفاء بذكرها في ثبت المصادر والمراجع بآخر البحث .

وأخيراً ، فإني أرجو أن أكون قد وفقـــت في هذا البحث ، وأن يكـــون عملي فيه خالصا لوجه الله الكريم ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ والحمد لله أولا وآخرا.

د/عبد الفتاح عبد العزيز رسلان

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط

الظروف التي في ظلها حدثت موقعة الحَرَّة*:

حدثت موقعة الحَرَّة في خلافة يزيد[1] بن معاوية ، في جَوٍّ مشحون بالتوتر والاضطرابات السياسية والسخط علي يزيد ؛ فقد بدأ يزيد ولايته علي المسلمين في رجب سنة ٦٠ هـ ، وفي العام الأول من ولايته قُتِلَ الحُسَيْنُ بن عليّ رضي الله عنهما ؛ حيث لم يكن ليزيد هَمٌّ منذ أن بويع بالخلافة إلا تحصيل بيعة النَّفَرِ الذين أَبَوْا علي معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته بولاية العهد بعده ، فكتب إلى الوليد[2] بن عتبة عامله علي المدينة أن يأخذ حُسَيْنًا وعبدَ الله بن عمر وعبدَ الله بن

---

* الحَرَّة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، وكأنها أحرقت بالنار ، والجمع : الحرّات ، والأحرّون ، والحرار ، والحِرّون، والحرار في بلاد العرب كثيرة ، والحَرَّة المشار إليها هنا هي حَرَّة واقم ، إحدى حَرَّتَيْ المدينة ، وهي الشرقية ، انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

[1] يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أمير المؤمنين أبو خالد الأموي ، ولد سنة خمس أو ست أو سبع وعشرين ، وتولى الخلافة –عد وفاة أبيه معاوية– في النصف من رجب سنة ستين، واستمر خليفة إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين . رَوَى عن أبيه معاوية ، وعنه ابنه خالد وعبد الملك بن مروان ، وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلي الصحابة ، وهي العليا ، وقال : له أحاديث. وقد كان يزيد أول من غزا مدينة قسطنطينية ؛ وذلك سنة تسع وأربعين أو خمسين على خلاف بين المؤرخين في ذلك، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور لهم ". وكان يزيد فيه خصال محمودة ؛ من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحُسن الرأي في المُلْك وكان ذا جمال ، حسن المعاشرة ، وكان فيه إقبال على الشهوات ، وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات . انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٤٢ و ٦٤٦ .

[2] الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، كان عاملاً على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، فلما توفي معاوية وتولّى الخلافة يزيدُ ظل عاملاً على المدينة حتى عزله يزيد عنها في رمضان سنة ٦٠هـ ، وَوَلَّي عليها عمرو بن سعيد بن العاص والي مكة فصار عاملاً على مكة والمدينة معاً ، وقدم عمرو بن سعيد المدينة وأقام فيها وحج بالناس في هذه السنة ، ثم عزل يزيدُ عمرَو بنَ سعيد عن المدينة وولَّى عليها بدلاً منه الوليد بن عتبة مرة أخرى ؛ وذلك لهلال ذي الحجة سنة ٦١ هـ ، فحج الوليد بالناس حجتين سنة ٦١ وسنة ٦٢ هـ. انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص ٣٤٣ و ٣٩٩ و ٤٧٤ و ٤٧٧ .

الزبير بالبيعة أخْذاً شـــديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا[١]. فأرسل إليهم الوليد بن عتبة يســـتدعيهم ؛ فلما جاءوا إليه أخبرهم بوفاة معاوية وطلب منهم البيعة ليزيد ، فأما عبـــد الله بن عمر فانتظـــر أياماً ثم بايع .[٢] وأما الحســـين وابن الزبير فقد تركا المدينة وذهبا إلى مكة .[٣] وفي مكة جاءت كتب أهل العراق إلى الحســـين ليذهب إليهم ؛ فخرج إليهم ، وفي كربلاء جرت المقادير بقتل الحسين ﷺ في العاشر من المحرم ســـنة ٦١ هـــ .[٤] فسخط المســـلمون علي يزيد لذلك .

وبعد قتل الحســـين ﷺ قام ابن الزبير في أهل مكة وأخذ يُعَظِّمُ مقتلَ الحســـين ، ويَعيبُ علي أهل الكوفة بخاصـــة وأهل العراق بعامة ؛ دعوتهم الحسين للـــذهاب إلـــيهم وانصرافهم عنه وخذلانهم له بعد ذلك ، وقتلهم إياه[٥]. وأخَذَ ابنُ الزبير يبايـــع النـــاسَ بمكة ســـراً ، ويُظْهِرُ أنه عائذٌ بالبيت ، وكان أصحابه يقولون له : أظهر بيعتك ؛ فإنـــه لم يبق أحد بعد قتل الحســـين ينازعك هذا الأمر . فيقـــول لهم : لا تعجلوا . وَعَلا أمْرُ ابن الزبير بمكة ، وكاتبه أهل المدينـــة ــ وذلك في ولاية عمـــرو بن ســـعيد بـــن العـــاص علـــي المدينـــة ــ واشرأبَّ الناس إليه ومَدُّوا إليه أعناقهم وظنوا أن الأمْرَ تَامٌّ له[٦].

---

[١] الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٣٣٨ .
[٢] المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .
[٣] المصدر السابق ، ص ٣٤١ . والذهبي، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٧ .
[٤] الطبري ، نفس المصدر ، ص ٣٤١ وما بعدها ، و ص ٤٠٠ وما بعدها .
[٥] المصدر السابق ، ص ٤٧٤ .
[٦] المصدر السابق ، ص ٤٧٤ – ٤٧٦ .

وهكذا بدأ يزيد خلافته بقتل الحسين بن عليّ رضي الله عنهما ؛ وذلك في السنة الأولي منها ؛ بل وقبل أن يمضي على استخلافه ستة أشهر . وسواء أكان يزيد قد رغب في قتل الحسين ورضي بقتله أم لا ، فالمهم أن قتل الحسين كان سبباً في زيادة التوتر والاضطرابات السياسية في الدولة الإسلامية . وزاد من حدة هذه الاضطرابات مَا شاع عن يزيد من الفِسْق ، وترك الصلاة أو تأخيرها ، وشُرْبِ الخمر ، وغير ذلك ؛ الأمر الذي أثار نفوس المسلمين علي يزيد في الأمصار الإسلامية بعامة ، وفي المدينة المنورة بخاصة ، وفي ظل هذه الظروف حدثت موقعة الحَرَّة بالمدينة المنورة " يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ".[1]

(1) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٩٤ . و ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٧ . وابن الأثير، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١٢٠ . والنويري، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٩٤ . وابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١ ، ص ٦٢٣. وقال بعضهم : " لثلاث ليال بقين منه ". انظر : خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ . و المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٤. وذكر ذلك أيضا الطبري ، وابن الجوزي ، وابن كثير (المصادر السابقة ، نفس المواضع). وانفرد البلاذري عن غيره من المؤرخين بقوله : " قال الواقدي: كانت وقعة الحَرَّة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ". انظر : أنساب الأشراف ج ٥ ، ص ٣٥٠ .

مقدمات الموقعة :

لما عَلا أمْرُ ابن الزبير بمكة وكَاتَبَهُ أهلُ المدينة ، ذهب الوليد بن عتبة –وبعض بني أمية– إلى يزيد بن معاوية وقالوا له : لو شاء عمرو بن سعيد لأَخَذَ ابنَ الزبير وبَعَثَ به إليك ، فَعَزَلَ يزيدُ عمرَو بنَ سعيد عن الحجاز وَوَلَّي بدلاً منه الوليدَ بن عتبة ، وذلك لهلال ذي الحجة سنة إحدى وستين[1]. "وأقام الوليدُ بنُ عتبة يُرِيدُ ابنَ الزبير فلا يجده إلا متحذّرا متمنّعاً ... ثم إنَّ ابنَ الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد بن عتبة ؛ فكتب إلى يزيد بن معاوية : إنك بعثت إلينا رجلا أخرق ، لا يتجه لأمْرٍ رَشَدٍ ، ولا يَرْعَوِي لعِظَةِ الحكيم ، ولو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق ، ليّن الكتف ، رجوت أن يسهل من الأمور ما استوعر منها ، وأن يجتمع ما تفرق ، فانظر في ذلك ؛ فإن فيه صلاح خواصنا وعوامّنا إن شاء الله ، والسلام".[2] فصادف كلامُ ابن الزبير هَوًي في نفس يزيد ، فقام بعزل الوليد بن عتبة عن الحجاز ، وَوَلّي بدلاً منه عثمان بن محمد ابن أبي سفيان ، وذلك سنة ٦٢ هـ ، وكان عثمانُ بنُ محمد فتًي غِرًّا حدثاً لم يُجَرِّب الأمور ، ولم يحنّكه السِّنّ ، ولم تضرسه التجارب "[3].

وفي ولاية عثمان بن محمد هذا قَدِمَ إلى المدينة ابنُ مينا –عامل صوافي معاوية والقيّم علي أمواله– يريد حَمْلَ ما كان يحمله في كل سنة من تلك الصوافي من الحنطة والتمر ، فمنعه أهل المدينة من ذلك ، وأزاحوه عنها ، فذهب ابنُ مينا إلى عثمان بن محمد

---

[1] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٧٧ . وهذه هي الولاية الثانية للوليد بن عتبة على الحجاز.

[2] المصدر السابق ، ص ٤٧٩ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٨٥ – ٤٨٦ .

[3] الطبري ، نفس المصدر ، ص ٤٧٩ – ٤٨٠ .

وأخبره بالأمر ، فأرسل عثمان إلى جماعة من أهل المدينة ليكلمهم في الأمر فدخل عليه جماعة من قريش والأنصار ، فأغلظ لهم في القول وأغلظوا له ، وقال لهم : لأكتبن إلى أمير المؤمنين بسوء رأيكم ، وما أنتم عليه من الأضغان القديمة والأحقاد التي لم تزل في صدوركم ، فافترقوا علي موجدة ، واجتمع رأي أهل المدينة علي منع ابنِ مينا ، فَكَفَّ عثمان بن محمد عنهم ، وكتب بأمرهم إلى يزيد بن معاوية[1].

وفي ولاية عثمان بن محمد أيضاً دعا عبدُ الله بنُ الزبير الناسَ إلى إظهار خلع يزيد بن معاوية وجهاده ، فأطاعه أهل الحجاز ، وأخذ البيعة له علي أهل المدينة عبدُ الله بن مطيع العدوي ، وعلم يزيد بأن أهل المدينة قد كاشفوا بعداوته[2].

ولما عَلِمَ يزيدُ بما آل إليه الأمر في المدينة المنورة وموقف أهلها منه ، كتب إلى عثمان بن محمد عامله عليها أن يوجه إليه وفداً من أهلها ؛ ليستمع مقالتهم ، ويستميل قلوبهم ، فبعث إليه عثمان –سنة ٦٢ هـ– وفداً من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري ، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، والمنذر بن الزبير بن العوام ، وآخرين من أشراف أهل المدينة ، فلما قدموا عليه أكرمهم وأحسن إليهم ، ووَصَلَ كُلَّ واحد منهم بخمسين ألف درهم ، ووَصَلَ المنذرَ بنَ الزبير بمائة ألف درهم ، ثم انصرفوا من عنده ، فلما وردوا المدينة قاموا فأظهروا شتم يزيد وقالوا : قدمنا من عند رجل فاسق ، يشرب الخمر ، ويضرب الطنابير ، ويعزف عنده القيان ،

---

(1) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج٢ ، ص ٢٠٦ . واليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٢٥٠. وقد سَمَّى ابنُ قتيبة عاملَ صوافي معاوية ابن ميثاء ، بينما سماه اليعقوبي ابن مينا .

(2) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص ٣٣٧ .

ويلعب بالكلاب ، ويسامر الخُرَّاب والفتيان ، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه ، فتابعهم الناس علي خلعه وولّوا أمرهم عبدَ الله بن حنظلة الغسيل(١).

ولما فعل أهلُ المدينة ذلك ، حاول يزيدُ استدراكَ الأمر ووأْد الفتنة في مهدها ، فبعث إلى النعمان بن بشير الأنصاري فقال له : إن عدد الناس بالمدينة الأنصار ، وهم قومك ، فأْتهم فافْتَأْهُمْ عما يريدون ، فإنهم إن لم ينهضوا في هذا الأمر لم يجترئ الناس عَلَي خِلافِي ، وبِهَا مِنْ عشيرتي من لا أحب أن ينهض في هذه الفتنة فيهلك ، فسار النعمان بن بشير إلى قومه ، ودعا الناس إليه عامة ، فاستنهاهم من أنفسهم ، وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة ، وخَوَّفَهُم الفتنةَ ، وحَذَّرَهُم جنودَ أهل الشام وقال لهم : إنه لا طاقة لكم بهم ، ورغَّبَهم في بَيْعَةِ يزيد ، فقال له عبد الله بن مطيع العدوي : ما يحملك يا نعمان علي تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من أمرنا ؟ فقال النعمان : أما والله لكأني بك لو قد نَزَلَتْ تلك التي تدعو إليها وقامت الرجالُ على الرُّكَب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودارت رَحَا المَوْتِ بين الفريقين ، قد هَرَبْتَ على بغلتك تضرب جنبيها إلى مكة ، وقد خلَّفْتَ هؤلاء المساكين -يعني الأنصار- يُقْتَلُون في سِكَكِهِمْ ومساجدهم ، وعلى أبواب دُورِهِم(٢). وكان مع النعمان بن بشير كتابٌ

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٣٧ – ٣٣٨ . والطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٨٠ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص ٧ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١٠٢ – ١٠٣. والنويري ، نهاية الأرب ، ج٢٠ ، ص ٤٨٥ – ٤٨٦ . والخُرَّاب : اللصوص .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٣٩ . والطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٨١ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج٢٠ ، ص ٤٨٧ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٠٩ – ٦١٠. وقد صَدَقَ النعمان في كلامه لعبد الله بن مطيع ؛ فإنه لما انهزم أهل المدينة في موقعة الحرة ، توارى عبد الله بن مطيع العدوى ثم لحق بابن الزبير . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج ٥ ، ص ١٤٦ .

من يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة نَصُّهُ : "مِنْ عبدِ الله يزيد أمير المؤمنين إلى أهل المدينة ، أما بعد ، فقد أنظرتكم حتى لا نَظِرَة ، ورفقت بكم حتى عُجِّزْتُ عندكم ، وحملتكم على رأسي ثم على عيني ثم على نحري ، وأَيْمُ الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأَطَأَنَّكُمْ وَطْأَةً أجعلكم بها أحاديث تؤثر مع أحاديث عاد وثمود "[1]. فلم يلتفت أحَدٌ إلى قول النعمان ، وعَصَاهُ الناسُ ، فانصرف راجعاً [2].

ولم يقف موقف أهل المدينة عند هذا الحَدِّ ، بل تمادوا في عصيانهم ؛ فوثبوا –سنة ٦٣ هـ– على عثمان بن محمد بن أبي سفيان –وَالي المدينة– ومَنْ بالمدينة مِنْ بني أمية ومواليهم ومَنْ عُرِف بالميل إليهم من قريش ، وكانوا نحواً من ألف رجل ، فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم ، فحاصرهم الناس فيها حصاراً ضعيفاً ، فكتب مروان بن الحكم –ومن معه من بني أمية– كتاباً إلى يزيد بن معاوية يخبره فيه بأمرهم وما حَدَثَ لهم من أهل المدينة[3]. وكان نص الكتاب : " بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد، فإنا قد حُصِرْنَا في دار مروان بن الحكم ، ومُنِعْنَا العَذْبَ ، ورُمِينَا بالجَبوب ، فياغَوْثَاه ياغَوْثَاه "[4]. وأرسلوا الكتاب مع حبيب بن كرة[5].

---

[1] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٣٩ .

[2] البلاذري ، نفسه . والطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٨١ . والنويري ، المصدر السابق ، ص ٤٨٧. ويقول النويري : " وبسبب هذه الواقعة كانت وقعة الحَرَّة ". نفسه .

[3] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٣٩ ، والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص٤٨٢. وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١١. والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٨٧ .

[4] الطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٨٢ . والجَبوب : الأرض الغليظة .

[5] البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ . والطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٨٢ .

ولما وصل حبيب بن كرة بالكتاب إلى يزيد، دفعه إليه ، فقرأه يزيد ثم قال : يا حبيب، أما يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة ؟ قال حبيب : بلي يا أمير المؤمنين . قال يزيد: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار !! قال حبيب : يا أمير المؤمنين ، أَجْمَعَ الناسُ كُلُّهُمْ عَلَيْهِم ، فلم يكن لهم بجَمْعِ الناس طاقة . فبعث يزيد إلى عمرو بن سعيد بن العاص فأقرأه الكتاب وأخبره الخبر ، وأمره أن يسير إلى المدينة في الناس ، فرفض عمرو بن سعيد ابن العاص وقال : كنت قد ضبطت لك البلاد ، وأحْكَمْتُ لك الأمور ، فأما الآن إذ صارت دماء قريش تهراق بالصعيد فإني لا أحب أن أتولى ذلك ؛ بل يتولاها من هو أبعد منهم مني[1]. فبعث يزيدُ حبيبَ بنَ كرة بالكتاب إلى مسلم بن عقبة المُرّي –وهو شيخ كبير ضعيف مريض– فقرأه ، وسأل حبيباً عن الخبر ، فأخبره ، فقال مثل مقالة يزيد : أما يكون بنو أمية ومواليهم وأنصارهم بالمدينة ألف رجل ! قال حبيب : بلى . قال فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ! ليس هؤلاء بِأَهْلٍ أن يُنْصَرُوا حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم وعزّ سلطانهم . ثم جاء مسلم بن عقبة ودخل علي يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تنصر هؤلاء فإنهم الأذلاء ، دعْهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم وعز سلطانهم . قال يزيد : ويحك ! إنه لا خير في العيش بعدهم ، فاخرج فأنبئني نبأك ، وسِرْ بالناس . فخرج مناديه فنادي : أن سِيرُوا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كَمَلا ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته[2].

---

[1] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٣٩ –٣٤٠ . والطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٨٢ – ٤٨٣. وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢ – ١٣ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١١. والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٨٨ .

[2] الطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٨٣ .

تجهيز الجيش وتسييره:

وبعد أن نادي المنادي في الناس بالتجهز للمسير إلى المدينة " خرج مسلم فعسكر وعرض الأجناد ، فلم يخرج معه أصغر من ابن عشرين ، ولا أكبر من ابن خمسين ، على خيل عِرَابٍ ، وسلاح شَاكٍ وأداةٍ كاملة ، وَوَجَّهَ معه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد حتى خرج"[1]. وهكذا تم تجهيز الجيش بكل ما يحتاجه من خيل وسلاح وعتاد كامل ومؤونة لازمة.

وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في عدد الجيش الذي سَيَّرَهُ يزيدُ بن معاوية تحت قيادة مسلم بن عقبة إلى أهل المدينة ؛ فيذكر المسعودي أنه كان أربعة آلاف[2]. ويذكر اليعقوبي أنه كان " خمسة آلاف رجل : من فلسطين ألف رجل عليهم روح بن زنباع الجذامي ، ومن الأردن ألف رجل عليهم حبيش بن دلجة القينيّ ، ومن دمشق ألف رجل عليهم عبد الله بن مسعدة الفزاري ، ومن أهل حمص ألف رجل عليهم الحصين بن نمير السكونيّ ، ومن قنسرين ألف رجل عليهم زفر بن الحارث الكلابي "[3]. ويذكر أبو الفدا أنه كان "عشرة آلاف فارس من أهل الشام "[4]. وذكر ذلك أيضاً ابنُ كثير حيث قال : "أرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس"[5]. بينما ذكر البلاذري ، والطبري ومن نقل عنه ، والذهبي ، أن عدد الجيش كان

---

(1) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(2) التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٣ .

(3) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(4) المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

(5) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦١٥ .

اثني عشر ألف رجل "[١]. وكذلك ذكر ابن كثير ولكن بصيغة التمريض "قيل"[٢]. في حين جعله ابن أعثم سبعة وعشرين ألفا ما بين فارس وراجل ، حيث قال : " ... فاجتمع إليه عشرون ألف فارس وسبعة آلاف راجل "[٣]. وذكر ذلك أيضاً الذهبي وابن كثير ولكن بصيغة التمريض ؛ فيقول الذهبي : " ويقال في اثني عشر ألف فارس وخمسة عشر ألف راجل "[٤]. ويقول ابن كثير : " ويقال في سبعة وعشرين ألْفاً ، اثنا عشر ألف فارس وخمسة عشر ألف راجل "[٥]. وأخيراً ذكر ابنُ قتيبة أن يزيدَ أمَرَ مسلمَ بنَ عقبة أن يعبئ ثلاثين ألفا من الخيل[٦].

وهكذا اختلف المؤرخون في عدد هذا الجيش ؛ بين أربعة آلاف ، وخمسة آلاف ، وعشرة آلاف ، واثني عشر ألْفاً ، وسبعة وعشرين ألْفاً ، وثلاثين ألفا . بل وذكر الطبري شعراً تمثل به يزيد وهو يتصفح الخيل ذكر فيه أن عدد الجيش كان عشرين ألفا[٧]. وأياً كان العدد ، فالذي لا شك فيه أن يزيد سَلَّحَ هذا الجيش تسليحاً عظيماً ،

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٠ . والطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٣٨٣ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٣ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٢ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج٢٠ ، ص ٤٨٨ . والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٢٥. وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج ١ ، ص ١٦١ .

(٢) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦١٥ .

(٣) الفتوح ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ .

(٤) تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٢٥ .

(٥) البداية والنهاية ، ج ١١ ٥ ، ص ٦١٦ .

(٦) الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٩ .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٨٤ .

وأنفق عليه نفقات كثيرة ، بحيث صار مُهَيَّأً للقيام بالمهمة المنوطة به تحت قيادة مُسْلِم بن عقبة المرّي .

وبعد أن تم تجهيز الجيش ركب يزيدُ فرساً ، وتقلّد سيفاً ، وتَنَكَّبَ قوساً ، وخرج إلى الخيل يتصفح وينظر إليها ، فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين ، ولِّني عليهم أَكْفِكَ –وكان النعمان أخا عبد الله بن حنظلة لأمِّه عمرة بنت رواحة– فقال يزيد: لا ، ليس لهم إلا هذا العَشَمة[1] ، والله لا أقيلهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة . فقال النعمان : أنشدك الله يا أمير المؤمنين في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ [2].

ولما عزم يزيد علي تسيير الجيش إلى أهل المدينة كَلَّمَهُ فيهم عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب ورقَّقَهُ عليهم وقال : إنما تقتل بهم نفسَك . فقال يزيد : أجل ، أقتل بهم نفسي وأشقي[3]. فقال عبد الله بن جعفر : أرأيت إن رجعوا إلى طاعتك ، أتقبل ذلك منهم ؟ قال يزيد : إن فعلوا فلا سبيل عليهم[4]. وتَعَهَّدَ يزيد لعبد الله بن جعفر أن يأمر الجيش بأن يتخذ المدينة طريقاً إلى ابن الزبير ، فإن أَقَرَّ أهلُ المدينة بالسمع والطاعة ولم ينصبوا له الحرب ، تركهم وجاز إلى ابن الزبير ، وإن أَبَوْا أن يُقِرُّوا ومَنَعُوه وحاربوه ، قاتلهم ، فرأي عبد الله بن جعفر هذا الأمر فرجاً عظيماً لهم ، وكتب إليهم يخبرهم بذلك ويطلب منهم ألا يعرضوا لجنده وأن يتركوهم يمضون عنهم ، فأَبَي أهل المدينة ذلك وقالوا : لا يدخلها علينا أبدا[5]. ويذكر صاحب الإمامة والسياسة أن

---

(1) شيخ عشمة : كبير هرم يابس : انظر : لسان العرب ، مادة (ع ش م) .

(2) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٢٥ . وابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٦١٦ .

(3) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ١٤٥ . والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٢٤ .

(4) الذهبي ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(5) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ . والذهبي ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

يزيد قال لعبد الله بن جعفر : " ... إن أقرّوا بالطاعة ، ونزعوا مِنْ غَيِّهِمْ وضلالهم ، فلهم عليّ عهدُ الله وميثاقُه أن لهم عطاءين في كل عام ... طول حياتي ، عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف ، ولهم عليّ عَهْدٌ أن أجعل الحنطةَ عندهم كسعر الحنطة عندنا ، والحنطة عندهم سبع آصع بِدِرْهَم ، والعطاء الذي يذكرون أنه احتبس عنهم في زمان معاوية ، فهو عَلَيَّ أن أُخْرِجَهُ لهم وافراً كاملاً ، فإن أنابوا وقبلوا ذلك، جاوزوا إلى ابن الزبير ، وإن أَبَوْا قاتلهم ، ثم إنْ ظَفَرَ بها أَنْهَبَهَا ثلاثاً ، هذا عهدي إلى صاحب جيشي لمكانك ولطلبتك فيهم ، ولِمَا زَعَمْتَ أنهم قومي وعشيرتي . قال عبد الله بن جعفر : فرأيت هذا لهم فَرَجًا ، فرجعت إلى مترلي فكتبت إليهم من ليلتي كتابا إلى أهل المدينة أُعْلِمُهُم فيه قول يزيد ، وأَحُضُّهُم علي الطاعة والتسليم ، والرضا والقبول لما بذل لهم ، وأَنْهَاهُم أن يتعرضوا لجيوشه ، وقلت لرسولي : اجهد السير ، فَدَخَلَهَا في عَشْرٍ ، فوالله ما أرادوا ذلك ولا قبلوه ، وقالوا : والله لا يدخلها عنوة أبداً ".[1]

وهكذا كان يزيد يتمنَّي أن يرجع أهلُ المدينة إلى الجماعة وأن يعودوا إلى السمع والطاعة؛ ليعفو عنهم ويتركهم ، وفي سبيل ذلك كان علي استعداد لأن يعطي أهل المدينة عطاءهم مرتين في العام ، وأن يجعلهم يعيشون في رَغَدٍ من العيش كأهل الشام ، ولذلك توجه بتعليماته وأوامره إلى مسلم بن عقبة قائد الجيش قائلاً : " إذا قَدِمْتَ المدينة ولم تُصَدّ عنها ، وسمعوا وأطاعوا ، فلا تتعرض لأحد منهم ، وامض إلى ابن الزبير ، وإن صَدُّوكَ عن المدينة فادْعُهُم ثلاثاً ، فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكُفَّ عنهم ؛ وإلا فاستعن بالله وقاتلهم"[2]. ويضيف البلاذري ، والطبري ومن نقل عنه ، أن يزيد قال

---

(1) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦١٦ – ٦١٧ .

لمسلم بن عقبة أيضاً: فإن ظهرت عليهم فأبحْهَا ثلاثاً ؛ فما فيها منْ مَالٍ أو رقَّةٍ أو سلاحٍ أو طَعَامٍ ؛ فهو للجند ، فإذا مَضَت الثلاثُ فاكْفُفْ عن الناس ، وانْظُرْ عليَّ بنَ الحسين فاكْفُفْ عنه ، واسْتَوْصِ به خَيْراً ، وأَدْنِ مجلسه ؛ فإنه لم يدخل في شئ مما دخلوا فيه ، وقد أتاني كتابه[1]. "وقيل : إنه قال لمسلم بن عقبة : إذا ظَهَرْتَ عليهم فإنْ كان قُتِلَ منْ بني أمية أحدٌ فَجَرِّد السَّيْفَ ، واقْتُل المُقْبِلَ والمُدْبِرَ ، وأَجْهِزْ علي الجريح ، وانهبها ثلاثاً "[2]. وأَرْسَلَ يزيدُ مع مسلم بن عقبة برسالة إلى أهل المدينة يدعهم فيها إلى السمع والطاعة ، ويتعهد لهم بمضاعفة عطائهم ، وتحسين أحوالهم الاقتصادية ؛ وجَعْلِ سعر الحنطة عندهم كسعر أهل الشام[3] ــ وهو ما أَلْزَمَ به يزيدُ نفسَه أمام عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عندما ذهب إليه ليستعطفه على أهل المدينة ــ وقال يزيد لمسلم بن عقبة أيضاً : إن حَدَثَ بك حَدَثٌ فاستخلف علي الجيش حُصَيْن بن نمير السّكونيّ . وفَصَلَ ذلك الجيش من عند يزيد وعليه مسلم بن عقبة المري[4].

وهكذا تضمنت تعليمات يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة قائد الجيش دعوةَ أهل المدينة إلى السمع والطاعة ، وتَرْكِهِمْ وعدم قتالهم وإصلاح أحوالهم المعيشية إن أجابوا إلى ذلك ، فإن قاتلوا ونصره الله عليهم ؛ عاقبهم مسلم بإباحة المدينة ثلاثة أيام .

---

(1) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٠ ــ ٣٤١ . والطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٨٤– ٤٨٥. وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٣ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٢ – ١١٣ . والنويري ، نهاية الأرب ،ج ٢٠ ، ص ٤٨٩ . والرقة : الدراهم .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦١٧ . وانظر كذلك : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٢٥ . وجدير بالذكر هنا أن قول ابن كثير هنا "قِيلَ" معناها أن ما سيأتي بعدها (مَقُولُ الْقَوْل) ضعيف .

(3) الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٩ – ١٠ .

(4) الطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٨٤ .

وقد حَدَّدَ يزيدُ معنى الإباحة هنا بأن يُبيحَ للجند نَهْبَ ما فيها من مال أو سلاح أو طعام ؛ لا غير . وكما هو واضح ؛ فقد خَلَت هذه التعليمات مما أشاعه المؤرخون المتأخرون بعد ذلك من هَتْكِ أعراض النساء وفَضِّ أبكار العذارى ، مما ستأتي مناقشته فيما بعد بإذن الله تعالى .

استعداد أهل المدينة للحرب:

ولَمَّا علم أهلُ المدينة بأمر هذا الجيش اشْتَدَّ حصارهم لبني أمية بدار مروان بن الحكم ، وضَيَّقُوا عليهم وقالوا : والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم ، أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ، ولا تدُلُّوا لَنَا علي عَوْرَة ، ولا تُظَاهِرُوا علينا عدواً، فَنَكُفَّ عنكم ونخرجكم عَنَّا ، فأعطوهم عهد الله وميثاقه لا نبغيكم غائلة ، ولا نَدُلُّ لكم علي عَوْرَة، فأخرجوهم من المدينة ، فخرجت بنو أمية بأثقالهم فمضوا إلى الشام ، وساروا حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القري[1]. وكان إخراج أهل المدينة لبني أمية من المدينة بأمر عبد الله ابن الزبير[2].

وبدأ أهل المدينة يستعدون للحرب ، فبعثوا إلى كل ماء بينهم وبين أهل الشام فصَبُّوا فيه زِقاً من قطران وعَوَّرُوه ، فأرسل الله عليهم السماء فلم يستقوا

---

[1] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٠ . والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص ٤٨٥ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٣ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٣ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٨٩ . ويذكر ابن سعد أن أهل المدينة أخذوا عليهم الأيمان ألا يرجعوا إليهم ، وإن قدروا أن يردوا هذا الجيش الذي قد وُجِّهَ إليهم مع مسلم بن عقبة المري أن يفعلوا . انظر : الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٨ ــ ٣٩ .

[2] البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥ . والمسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٨ .

بدلو حتى وردوا المدينـــــة[1]. وقاموا بحفر خندق حول المدينة في نفس موضع الخنـــدق الذي كان رســـول الله ﷺ قد حفره يوم الأحزاب[2]. ويقال إنهم خَنْدَقُوا المدينة من كل نواحيها[3]. وإنهم أقاموا على أنقابها الرجال بالسلاح ، وأدخلوا ماشيتهم ومـــا يحتـــاجون لحصارهم سنة[4]. ويذكر الطبري أنهم اتخذوا خندقا في جانب المدينة[5].

" وجعلوا جيشهم أربعة أرباع ، علي كل ربع منهم أمير "[6]. فكان عبد الرحمن بن زهير بن عوف –ابن عم عبد الرحمن بن عوف– الزهري على أحد هذه الأربـــاع، وهـــو الربع الذي نزل الخندق ، وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر في جانب المدينة ، وكان معقـــل بن سنان الأشجعي على ربع آخر في جانب المدينة ، وكان عبد الله بـــن حنظلـــة الغسيل الأنصاري على ربع آخر مما يلي الحَرَّة[7]. وجعلوا أجَلَّ تلك الأربـــاع وأعظمهـــا وأكثرها عدداً الربع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الغســـيل[8]. وجعلوا إليه رئاســـــتهم

---

(1) خليفة بن خيـــاط ، تاريـــخ خليفـــة ، ص ١٤٨ . والبلاذري ، أنســـاب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٥٣. والطبري ، تاريخ الرســـل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٩٥ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابـــع ، ص ١١٣ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٢٥ .

(2) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٣ .

(3) الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ، ج ١ ، ص٢١٠ .

(4) المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

(5) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٨٧ .

(6) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص٦١٩ .

(7) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ . والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٨٧ وابن الجوزي ، المنتظـــم ، ج ٦ ، ص ١٤ . وابن الأثير ، الكامل ، ص ١١٥ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٩١ .

(8) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص٦١٩ .

وترتيبهم[1]. وذكر خليفة بن خياط أنهم أمَّروا على قريش عبدَ الله بن مطيع العدوي ، وعلى الأنصار عبدَ الله بن حنظلة الغسيل ، وعلى قبائل المهاجرين معقلَ بن سنان الأشجعي[2].

والمهم أن أهل المدينة استعدوا للحرب استعداداً جيدا تحت قيادة عبد الله بن حنظلة الغسيل الذي جمعهم عند المنبر –كما يذكر صاحب الإمامة والسياسة– وقال لهم : تبايعوني على الموت؛ وإلا فلا حاجة لي في بيعتكم . فبايعوه على الموت[3]. الأمر الذي جعل الحربَ أمراً محتوماً لا مَفَرَّ منه .

وهنا لابد من الإشارة إلى شيء مهم ، وهو أن **أهل المدينة لم يكونوا كلهم داخلين في هذا الأمر ؛ فمنهم أناس ذَوُوا شأن كبير من الصحابة وأبناء الصحابة رفضوا الخروجَ على يزيد وشَقَّ عَصَا الطاعة** ؛ لما يسببه ذلك من بث الفتنة بين المسلمين وتفريق كلمتهم وتمزيق وحدتهم ، بل ورَفَضَ بعضُهم ما أشاعه وفد أهل المدينة –بعد رجوعه من الشام– عن يزيد مِنْ فِسْقِه وفُجُورِه وشُرْبِه الخمر وتَرْكِه الصلاة ، ولذلك اعتزل هؤلاء الصحابة الكبار هذا الأمر ، ولم يشاركوا فيه، بل وحَذَّرُوا ذويهم من الانخراط فيه، ومِنْ هؤلاء : **عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن الحنفية ، وعليّ زين العابدين** ، وغيرهم .

فأما **عبد الله بن عمر** فإنه –كما روي الإمام أحمد بسنده إلى نافع– لما خلع الناسُ يزيدَ ابنَ معاوية ؛ جمع ابنُ عُمَرَ بنيه وأهْلَه ، ثم تشهَّدَ ، ثم قال : أما بعد ، فإنا بايعنا هذا

---

(1) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ .

(2) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٤٨ . والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٢٤ .

(3) الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

الرجل على بَيْعِ الله ورسـولِه ، وإني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : "إنَّ الغادرَ يُنْصَبُ لـه لواءٌ يوم القيامة يُقالُ : هذه غَدْرَةُ فلان". وإن مِنْ أعظم الغَدْرِ –إلا أن يكون الإشـراك بالله– أن يُبَايِعَ رجلٌ رَجُلًا على بَيْعِ الله ورَسُولِه ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَه ، فلا يَخْلَعَنَّ أحدٌ مـنكم يزيدَ ، ولا يُشْرِفَنَّ أحدٌ منكم في هذا الأمر ، فيكون الصَّيْلَمُ بيني وبينه[1]. ومعني ذلك أن عبدَ الله بن عمر يَرَى أن يزيدَ خليفةٌ شرعيٌّ له في أعناقهم بيعة[2].

ولم يكتف ابن عمر بمنع ولده وحشمه من الاشتراك في الخروج علي يزيـد وخلـع طاعته ، بل سَـعَي في إخماد الثورة ومَنْعِ أهل المدينـة من خلع طاعة يزيد[3]. فقـد روي مسلمُ في صحيحه قال : " جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيـع حين كان من أَمْرِ الحَرَّة ما كان زمن يزيد بن معاوية ، فقال : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة . فقال : إني لم آتك لأجلس ، أتيتك لأُحَدِّثَكَ حَديثاً سمعتُ رسـولَ الله ﷺ يقوله ، سمعتُ رسـولَ الله ﷺ يقول : " مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القيامة لا حُجَّةَ له ، ومَنْ مَاتَ وليس في

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (مسند المكثرين من الصحابة : مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب) حديث رقم ٤٨٤٤ . و ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ . وابـن كثـير في البدايـة والنهـاية، ج ١١ ، ص ٦٥٢. و الصَّيْلَم : معناها القطيعـة المنكرة . وقد روي البخـاري مثلـه في صحيحه (ج ٤ ، ص ٢٣٠) ولكن باختلاف قليل في اللفظ .

(2) د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، ص ٤٩١ .

(3) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

عُنُقِه بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جاهلية "[1]. بل " وأنكر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت ، وقال : إنما كنا نبايع رسول الله ﷺ عَلَي ألا نَفِرَّ "[2].

وأما **أبو سعيد الخدري** ؛ فقد اعتزل الأمر كُلَّه ، ولَجَأَ إلى غارٍ في جبل ، وقد حدث له بعد المعركة موقف مع أهل الشام لحقه فيه بعضُ الأذى[3] ، وسيأتي ذكره بعد قليل .

وأما **محمد بن الحنفية** ؛ فإن عبدَ الله بنَ مطيع وأصحابَه مَشَوْا إليه "فأرادوه على خلع يزيد ، فأَبَى ، فقال ابنُ مطيع : إنَّ يزيدَ يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدّى حُكْمَ الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرتُهُ وأقَمْتُ عنده ؛ فرأيته مواظباً للصلاة ، مُتَحَرِّياً للخير ، يسأل عن الفقه ، مُلَازِماً للسُّنَّة . قالوا : فإن ذلك كان منه تَصَنُّعاً لك . فقال : وما الذي خاف منِّي أو رَجَا حتى يُظْهِرَ إلى الخُشوع ؟! أَفَأَطْلَعَكُمْ على ما تذكرون منْ شُرْبِ الخَمْرِ ؟ فلئن كان أَطْلَعَكُمْ عَلَي ذلك إنكم لَشُرَكَاؤُه، وإن لم يكن أَطْلَعَكُمْ فَمَا يحلُّ أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لَحَقٌّ وإن لم يكن رَأَيْنَاه . فقال لهم : قد أَبَى الله ذلك على أهل الشهادة ، فقال : ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ولَسْتُ مِنْ أمركم في شَيْءٍ . قالوا : فلعلك تكره أن يتولى

---

(1) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، حديث رقم ٣٤٤١ .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦١٤ ــ ٦١٥ .

(3) انظر موقف أبي سعيد الخدري عند : خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٤٩ . والبلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ و ٣٥٤ . وابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٢١٣ . والطبري تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٩١ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٥ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٨ . وابن طباطبا ، الفخري ، ص ١١٦ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٢١.

الأمْرَ غيرُك ، فنحن نُوَلِّيكَ أَمْرَنَا . قال : ما أستحل القتال على ما تريدونني عليه تابعاً ولا متبوعا . قالوا : قد قاتلتَ مع أبيك . قال : جيئوني بمثل أبي أقاتل عَلَى مثْلِ ما قَاتَلَ عليه . قالوا : فَمُرْ ابْنَيْكَ أبا هاشم والقاسم بالقتال معنا . قال : لو أمرتهما قَاتَلْتُ . قالوا : فَقُمْ معنا مقاماً تَحُضُّ الناسَ فيه على القتال . قال : سبحان الله ! آمُرُ الناسَ بما لا أفعله ولا أرضاه ؟! إذاً ما نَصَحْتُ لله في عباده . قالوا : إذاً نُكْرِهُك . قال : إذاً آمُرُ الناسَ بتقوى الله ، وألا يُرْضُوا المخلوقَ بسَخَطِ الخالق . وخرج إلى مكة"[1]. ومعني ذلك أن محمدَ بن الحنفية –وهو رجلٌ عَدْلٌ لا يمكن أن يُتَّهَم أبداً بمحاباة يزيد[2]– نَفَي عن يزيد التُّهَمَ التي اتَّهَمَهُ بها أهْلُ المدينة ، وبَرَّأَه منها ؛ الأمر الذي يعني أنَّ أهْلَ المدينة قد جانبهم الصواب في خروجهم على يزيد بسبب ما ادَّعَوْهُ عليه من شرب الخمر وترك الصلاة وغير ذلك !!! وهل يُعْقَل أن يكون يزيد ين معاوية من الغَفْلَة بحيث يُطْلِعُ وَفْدَ أهل المدينة على عيوبه –إن كانت فيه عيوب– وهو الذي أرسل إليهم ليتألف قلوبهم ، ويستميلهم إليه ؟! وهل يُعْقَل أن يشربَ الخمرَ ويؤخِّرَ الصلاةَ أمامهم ، ويعطيهم بذلك سلاحا يستخدموه ضده ؟!! إن ما قاله وَفْدُ أهل المدينة عن يزيد –بعد رجوعه إلى المدينة– لا يتفق مع المنطق ، ولا يتقبله العقل السليم .

وأما **عليّ زين العابدين** بن الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب ؛ فقد اعتزل الناسَ ، ولم يشترك في شيئ مما دخلوا فيه[3]. وبَقِيَ علي بيعته ليزيد[4]. وكَتَبَ كتاباً بذلك إلى يزيد ،

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٥٣ – ٦٥٤ . والآية رقم ٨٦ من سورة الزخرف.

(2) د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، ص ٤٩٠ .

(3) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٦١٤ . وذكر البلاذري أنه اعتزل في ضيعة بقرب المدينة كراهة أن يشهد شيئاً من أمرهم . انظر : أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤١ .

(4) ابن الأثير ، الكامل ، المجلد الثالث ، ص ٣١١ .

فَوَصَّي يزيدُ مُسْـلِمَ بنَ عقبة به خيراً[1]. بل " لم يخرج أحد من آل أبي طالب ولا من بني عبد المطلب أيام الحَرَّة "[2]. وإنما لزموا بيوتهم[3].

وصول جيش الشام إلى المدينة:

سار مسُـْلِمُ بنُ عقبة بمن معه من الجيوش في طريقه إلى المدينة ، فلما وصل إلى وداي القري لقيه بنو أمية خارجين من المدينة ، فَسَـلَّمُوا عليه ، فجعل مُسْلِمٌ يسأهم عن الأخبار خلفهم ، وكان أول من سألهم مُسْلِمُ من بني أمية عمرو بن عثمان بن عفان؛ سأله عن الأخبار خلفه فلم يخبره بشيء ؛ ليمينه التي حَلَفَهَا لأهل المدينة ، فقال له مُسْلِمُ: لولا أنك ابنُ عثمانَ لضَرَبْتُ عُنُقَكَ ، والله لا أقَلْتُهَا قُرَشِـياً بعدك[4]. فَقَدَّمَ مروانُ ابنَه عبدَ الملك لِيُخْبِرَ مُسْلِماً بما أراد ؛ خوفاً من الحِنْثِ ، فدَخَلَ عبدُ الملك ، فسأله مسلمُ عن خبر الناس خلفه ، وبِمَ يُشِيرُ عليه ، فأخبره عبدُ الملك بما أراد ، وأشار عليه بأن يجعل المدينة على يساره ، وينزل بمن معه من الجنود شَرْقِيَّهَا ؛ في الحَرَّة ، حتى إذا خَرَجَ إليه أهلُ المدينة وقد طَلَعَت الشمسُ ، كانت الشمسُ في أَقْفِيَةِ أهلِ الشام فلا تؤذيهم ، وتَقَع في وجوه أهل المدينة فيؤذيهم حَرُّهَا ويصيبهم أذاها ، وأن يستعن

---

(1) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٠ – ٣٤١ . والطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥، ص ٤٨٤ – ٤٨٥. وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٣ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٢ – ١١٣ . والنويري ، نهاية الأرب ،ج ٢٠ ، ص ٤٨٩ .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٥٤ .

(3) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢٨ . وسيأتي بعد قليل أن أناساً من آل أبي طالب وبني عبد المطلب اشتركوا في المعركة وقتلوا فيها ؛ الأمر الذي يثبت خطأ ابن كثير والذهبي فيما ذهبا إليه من أن أحداً منهم لم يخرج أيام الحرة ، وأنهم لزموا بيوتهم .

(4) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ .

بالله ويقاتلهـــم ، فإن الله ناصره عليهـــم ؛ لمخالفتهم الإمام وخروجهم من الجماعة ، فَسُرَّ مُسْلِمُ بنُ عقبة من عبدِ الملك وشَكَرَه علي ذلك[1].

وتحرك مُسْلِمُ بالجيش من مكانه بوادي القري في طريقه إلى المدينة ، ورجع معـــه إلى المدينة بعضُ بني أمية ، وذهب الباقون إلى يزيد بالشـــام[2]. وفعل ما أشار به عليه عبـــدُ الملك؛ فنزل شرقي المدينة في الحَرَّة ، وأرســـل إلى أهل المدينة يخبرهم بمضمون الرسالة التي أرسلهـــا معه إليهم يزيدُ بن معاوية ، والتي يَدْعُهُم فيها إلى السمع والطاعة ، ويتعهد لهـــم فيها بأن يعطيهم عطاءين في العام –عطاءً في الشـــتاء وعطاءً في الصـــيف– وأن يُحَسِّـــن أحوالَهـــم الاقتصادية؛ فيجعل سعر الحنطة عندهم كسعر الحنطة في الشـــام ، فقال له أهل المدينة : نخلعه كما نخلع عمائمنا ، وكما نخلع نعالنا[3]. ثم دعاهم مسلم بن عقبة فقال : يا أهل المدينة ، إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصـــل ، وإني أكـــره هراقـــة

---

(1) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٨٦ ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٤٨٥ – ٤٨٦. وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٣ – ١١٤ . والنـــويري ، نهايـــة الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٨٩ ــ ٤٩٠ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦١٨ . ويذكر ابن سعد أن مروان أخـــبر مســـلم بن عقبة بما أراد ، وأخذ يحرضه على أهل المدينة . انظر : الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٩ .

(2) البلاذرى ، أنســـاب الأشراف ، ج٥ ، ص ٣٤٦ . وقد ذكر ابن سعد أنَّ مُسْلِمَ بنَ عقبة قال لبني أمية: أتمضون إلى أمير المؤمنين أو ترجعون معي ؟ فقالوا : بل نمضى الى أمير المؤمنين ، وقال مـــروان مـــن بينهم: أما أنا فأرجع معك . فرجع معه مؤازراً له معيناً له على أمره. انظر : الطبقات الكـــبرى ، ج ٥ ، ص ٣٩ . وذكر ذلك أيضـــاً صاحب الإمامة والسياسة وقال : لم يرجع معه إلى المدينة منهم إلا مـــروان وابنه عبد الملك. انظر : الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(3) الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٩ ــ ١٠ .

دمائكم ، وإني أؤجلكم ثلاثاً ، فَمَنْ اُرْعَوَى ورَاجَعَ اُلْحَقَّ قبلنا منه ، وانصرفت عنكم ، وإن أبيتم كُنَّا قد أعذرنا إليكم[1]. ولكنَّ أهلّ المدينة أَبَوْا إلا القتال .

ومضت الأيامُ الثلاثة ، فتوجَّه إليهم مسلم بن عقبة –في اليوم الرابع وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين[2]– قائلاً : يا أهل المدينة ، قد مضت الأيام الثلاثة فما تصنعون ؟ أتسالمون أم تحاربون ؟ فقالوا : بل نحارب . فقال لهم : لا تفعلوا، بل ادخلوا في الطاعة[3]. وقال لهم أيضاً : " إن أمير المؤمنين يكره إراقة دمائكم ، ولقد استدامكم منذ زمان لأنكم أصله ، فاتقوا الله في أنفسكم ، فشتموه وشتموا يزيد وفَجَّروه ، وقالوا : بل نحارب ثم نحارب "[4]. وتهيئوا للقتال[5].

وهكذا أَكَّدَ أهلُ المدينة خَلْعَهُم ليزيد بن معاوية ، وشَقُّوا عصا الطاعة ، وخرجوا عن الجماعة ، وأصَرُّوا علي القتال ، فلم يكن هناك بُدٌّ منه .

---

(1) الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٩ ــ ١٠ .

(2) ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦١٩ .

(3) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٨٧ . وابن الجوزي المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤ . وابن الأثير الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٤ ــ ١١٥ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٩٠ ــ ٤٩١ .

(4) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٣ .

(5) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٦١٩ .

المعركة:

وإزاء إصرار أهل المدينة على موقفهم زحف أهل الشام إلى المدينة ، فوجدوا أهلَهَا قد خندقوا عليها ، والناس متلبسون بالسلاح قد قاموا على أفواه الخنادق ، فجعل أهلُ الشام يطوفون بها والناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الآكام والبيوت[1]. وخرج أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم يُرَ مثلُها ، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، فأمر مُسْلِمُ بسريره فوُضِعَ بين الصَّفَّيْنِ ، ثم أمر مناديه فنادي : قاتلوا عَنِّي أَوْ دَعُوا ، فشَدَّ الناسُ في قتالهم[2]. ولَكِنَّ أهلَ الشام لم يصمدوا لِرُبْعٍ من أرباع أهل المدينة ، ولم يقاتلوا إلا قليلا ثم تَوَلَّوْا[3].

وأمر مُسْلِمُ بنُ عقبة خيلَه أن تقدم على عبد الله بن حنظلة الغسيل وأصحابه ، فأقبلت الخيلُ نحو ابن حنظلة ، فثار رجالُه في وجوهها بالرماح والسيوف ، فنَفَرَت الخيلُ وأحجمت[4]. وحَمَلَ ابنُ الغسيل بالرجال حتى كَشَفَ الخيلَ ، فانتهت إلى فسطاط مُسْلِم[5].

وقاتل الفضلُ بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب –وكان في نحو من عشرين فارساً– يومئذ قتالاً شديداً حسنا ، ثم جاء إلى عبد الله بن حنظلة الغسيل وقال له : مُرْ فرسانك أن ينضموا إلى ، فإذا حَمَلْتُ فليَحْمِلُوا ، فوالله لا أنتهي حتى

---

[1] الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١١ .

[2] خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٤٩ .

[3] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٨٩ .

[4] الطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٨٩ – ٤٩٠ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٥.

[5] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص٣٤٣ .

أَبْلُغَ مُسْلِماً ، فإما أن أَقْتُلَهُ ، وإما أن أُقْتَلَ دونه ، فأمرهم عبدُ الله بن حنظلة فانضموا إليه ، فلما اجتمعت الخيلُ إليه حَمَلَ الفضلُ علي أهل الشام فانكشفوا ، فقال لأصحابه : احْمِلُوا أُخْرَى جُعِلْتُ فِدَاكُمْ ، فَوَ الله لئن عايَنْتُ أميرَهم لأقتلنَّه أو لأُقْتَلَنَّ دونه ، ثم حَمَلَ وحَمَلَ أصحابُه معه ، فانفرجت خيلُ أهل الشام عن مُسْلِم بن عقبة في نحو خمسمائة راجل جُثَاةً علي الركب ، مشرعي الأسنة ، فمضي نحو راية مُسْلِم ليضرب رأسَ صاحب الراية ، فشَدَّ عليه رجالُ مُسْلِم فقتلوه وما بينه وبين أطناب مُسْلِم بن عقبة إلا نحو من عشر أذرع ، وقُتِلَ معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، وإبراهيم بن نُعَيْم بن عبد الله النحام ، في رجال من أهل المدينة كثير[1].

وأمر مُسْلِمُ بنُ عقبة الحُصَينَ بنَ نمير السكونيّ أن ينزل في جنده ، فنزل الحُصَيْنُ في أهل حمص ومَشَوْا إلى ابن الغسيل ورجاله ، فلما رآهم ابنُ الغسيل قد أقبلوا يمشون نحوه تحت راياتهم ، قام في أصحابه فقال : يا هؤلاء ، إن عدوَّكم قد أصاب وَجْهَ القتال الذي كان ينبغي أن تقاتلوهم به ، وإني قد ظننت ألا تلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينه ، إما لكم وإما عليكم ، إن لكل امرئ منكم ميتة هو ميّت بها ، والله ما من ميتة بأفضل من ميتة الشهادة ، وقد ساقها الله إليكم فاغتنموها ، فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها ، ثم مَشَى برايته غير بعيد ثم وقف ، وجاء ابن نُمير برايته حتى أدناها ، وأمَرَ مُسْلِمُ بن عقبة عبدَ الله بن عضاة الأشعري فمشى في خمسمائة رامٍ حتى دَنَوْا من ابن الغسيل وأصحابه ، فأخذوا ينضحونهم بالنبل ، فقال ابنُ الغسيل لأصحابه : علام تستهدفون لهم ، مَنْ أراد التعجل إلى الجنة فليلزم هذه الراية ، فقام إليه كل مستميت ،

---

[1] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص٣٤٣. والطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٨٨ ــ ٤٨٩. وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٥ – ١١٦ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج٢٠ ، ص ٤٩٢ – ٤٩٣ .

فقال : الغُدُوّ إلى ربكم ، فوالله إني لأرجو أن تكونوا عن ساعة قريرِي عَيْن ، فنهض القومُ بعضهم إلى بعض فاقتتلوا أشد قتال رُئِيَ في ذلك الزمان ساعة من نهار ، وأخذ ابنُ الغسيل يُقَدِّمُ بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قُتِلُوا بين يديه ، وظل ابنُ الغسيل يضرب بسيفه حتى قُتِل ، وقُتِل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ؛ استُقدم فقاتل حتى قُتِل[1].

ولما مات عبدُ الله بن حنظلة الغسيل ، انهزم أهلُ المدينة ، وصاروا كالنعام الشرود ؛ يقتلهم أهلُ الشام من كل وجه[2].

وأقبل محمدُ بن عمرو بن حزم الأنصاري –وجراحه تنفث دماً– يقاتل ، وكان فارساً ، فأخذ يَحْمِلُ على الكردوس من أهل الشام فَيَفُضّ جماعتهم ، فنَظَمَه أهلُ الشام بالرماح ، وحملوا عليه حملةً واحدةً فقتلوه ، فلما قُتِلَ انهزم مَنْ بقي مِنَ الناس في كُلِّ وَجْه ، ودخل أهلُ الشام المدينة ، فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون[3]. وكان دخولهم إلى المدينة مِنْ قِبَلِ بني حارثة[4]. حيث إن بني حارثة أقحموهم على أهل المدينة ، فسمع أهلُ المدينة التكبير من خلفهم في جوف المدينة ، فانهزموا ، فكان مَنْ أُصِيبَ في الخندق أكثر ممن قُتِل ، وهُزِمَ الناس[5]. وقيل إن مروان بن الحكم جاء إلى بني حارثة فكَلَّمَ رجلا منهم ورَغَّبَه في الضيعة وقال : افتح لنا طريقا ، فأنا أكتب بذلك إلى أمير

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥ ، ص ٤٩٠. وابن الأثير ، الكامل، المجلد الرابع، ص ١١٦ – ١١٧.

(2) الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

(3) نفسه .

(4) البلاذري، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ .

(5) البلاذري، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ . والطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٩٥. وابن الأثير، المصدر السابق ، ص ١١٨ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٩٣ .

المؤمنين ، ومتضمن لك عنه شـــطر ما كان بذل لأهل المدينة من العطاء وتضعيفه ، ففتح له طريقا اقتحمت خيلُ أهل الشام المدينةَ من خلاله ، فاقتتلوا حتى عاينوا الموت[1].

وسواء أكان دخول أهل الشام إلى المدينة –مِنْ قِبَلِ بني حارثة– قد تَم بِتَوَاطُؤٍ من بني حارثة أو بغير تَوَاطُؤ ، فالمهم أن دخولهم إلى المدينة من وراء ظهر أهلها قد أربـــك أهـــلَ المدينة، وكان سببا رئيسا في هزيمتهم ، وليس أدل علي ذلك من قول البلاذري: "... فَصَبَرَ أهلُ المدينة وقاتلوا أَشَدَّ قتال ، فلم يشعروا إلا بالكمين يضربهم في أدبارهم فانهزموا "[2].

ولّما انهزم أهلُ المدينـــة حاول محمدُ بن سعد بن أبي وقاص أن يَرُدَّ أهـــلَ الشـــام ، فمال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمة ، فذهب فيمن ذهب من الناس[3]. وحاقـــت الهزيمـــة كاملة بأهل المدينـــة . ووقع شَرٌّ عظيم وفساد عريض[4].

وفزع مَنْ كان بالمدينـــة من الصحابة[5]. حتى إن **عبدَ الله بن زيد بن عاصم صاحب رسول الله ﷺ** ، قد خرج يومئذ والخيل تسرع في كل وجه قَتْلاً ونَهْباً ، فقيـــل له : لـــو عَلِمَ القومُ باسمك وصحبتك لم يهيجوك ، فلو أعلنتهم بمكانك . فقال : والله لا أقبـــل لهم أمانا ، ولا أبرح حتى أُقْتَـــلَ ، لا أَفْلَحَ مَنْ ندم ؛ وكان رجلا أبيض طويلا أصلع ، فأقبـــل عليه رجل من أهل الشـــام وهو يقول : والله لا أبرح حتى أضرب صلعتك وهو حاسر . فقال عبد الله : شَرٌّ لَكَ خَيْرٌ لِي . فضربه بفأس في يده ، فســـقط ميتا ، رحمه الله ، وكان

---

(1) الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(2) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٦ .

(3) البلاذري، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ . والطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٩١ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٢٠ .

(5) الطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٩١. وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٧ ــ ١١٨.

يومه ذلك صائما[1]. فَمَرَّ به مسلمُ بن عقبة وهو يطوف على القتلى ، فعرفه ، وأَمَرَ بِحَزِّ رأسِه[2].

وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ؛ ذكر ابنُ قتيبة أنه كان يومئذ قد ذَهَبَ بَصَرُهُ ، فجعل يمشي في بعض أزقة المدينة وهو يقول : تَعِسَ مَنْ أخافَ اللهَ ورسولَه . فقال له رجل : وَمَنْ أخاف اللهَ ورسولَه ؟ فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : " مَنْ أخافَ المدينةَ فقد أخاف ما بين جَنْبَيَّ ". فحَمَلَ عليه رجل بالسيف ليقتله ، فترامي عليه مروانُ فأجاره ، وأمر أن يدخله منزله ، ويغلق عليه بابه[3]. ونقل ابن كثير عن الدارقطني بسنده إلى " محمد وعبد الرحمن ابني جابر بن عبد الله قالا : خَرَجْنَا مع أبينا يوم الحَرَّة وقد كُفَّ بصرُه فقال : تَعِسَ مَنْ أخافَ رسولَ الله ﷺ . فقلنا : يا أبَتِ ، وهل أحَدٌ يُخيفُ رسولَ الله ﷺ ؟! فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : " مَنْ أخاف هذا الحَيَّ مِنَ الأنصار فقد أخاف ما بين هذين " ووضع كفَّيْهِ علي جَنْبَيْهِ "[4].

وأبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ؛ ذكر ابنُ قتيبة أنه لَزِمَ بيتَه ، فَدَخَلَ عليه نَفَرٌ مِنْ أهلِ الشام ، فقالوا : أيها الشيخ ، مَنْ أنت ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله ﷺ ، فقالوا : مازلنا نسمع عنك ، فبحظك أخذت في تركك قتالنا ، وكَفِّكَ عَنَّا، ولزوم بيتك ، ولكن أَخْرِجْ إلينا ما عندك . قال : والله ما عندي مال ،

---

(1) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

(2) المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(3) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٤ . والحديث (من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جَنْبَيَّ) رواه الإمام أحمد في مسنده (باقي مسند المكثرين : مسند جابر بن عبد الله) حديث رقم ١٤٢٩٠ .

(٤) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٢٩ – ٦٣٠ .

فنتفوا لحيته ، وضربوه ضربات ، ثم أخذوا كل ما وجدوه في بيته حتى الصواع ، وزوج حمام كان له[1]. ويذكر الذهبي رواية –قريبة مما ذكره ابن قتيبة– عن أبي هارون العبدي أنه قال : رأيت أبا سعيد الخدري مُمَعَّط اللحية ، فقلت : تَعْبَثُ بلحيتك ! فقال : لا ، هذا ما لقيت من ظَلَمَةِ أهلِ الشام يوم الحَرَّة ؛ دخلوا عَلَيَّ زَمَنَ الحَرَّة فأخذوا ما في البيت ، ثم دخَلَتْ عَلَيَّ طائفةٌ فلم يجدوا في البيت شيئا ، فَأَسفُوا وقالوا : أضجعوا الشيخ ، فأضجعوني ، فجعل كُلُّ واحدٍ منهم يأخذ من لِحْيَتِي خصلة[2]. ويذكر البلاذري ، والطبري ومن نقل عنه ، أن أبا سعيد الخدري خرج فدخل في كهف في الجبل ، فَبَصُرَ به رجلٌ من أهل الشام ، فجاء فاقتحم عليه الغار ، فانتضي أبو سعيد سيفه ليرعبه ؛ لعله ينصرف عنه ، فأقبل عليه الرجل ، فوضع أبو سعيد سيفه وقال له : ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إلى يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إليكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينْ ﴾ . فقال له الشامي : مَنْ أنت لله أبوك ! فقال له : أنا أبو سعيد الخدري . قال : صاحب رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . فتركه الشامِيُّ وانصرف وهو يقول : استغفر لي[3].

---

(1) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(2) تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٢٧ ــ ٢٨ .

(3) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ . والطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٩١ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الربع ، ص ١١٨ . والآية من سورة المائدة ، رقم ٢٨ .

إباحة المدينة (نهبها) :

ذكرت معظم المصادر التاريخية أن أهل الشام دخلوا المدينة ، وأباحها مُسْلِمُ بن عقبة –قَبَّحَهُ اللهُ– ثلاثة أيام كما أمره يزيدُ بن معاوية[1]. فأخذ أهلُ الشام يقتلون الناس وينهبون الدور ، ويأخذون المتاع والأموال ؛ حتي كانوا ينقضون صوف الفُرُش ويأخذونها[2]. وكانت "أول دور انتهبت والحرب قائمة دور بني عبد الأشهل ، فما تركوا في المنازل من أثاث ولا حُلِيّ ولا فراش إلا نُقِضَ صوفه ، حتي الحمام والدجاج كانوا يذبحونها "[3]. ولم تبق دارٌ في المدينة إلا انتُهبت إلا دار أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه ؛ فإن كَلْباً حَمَتْهَا ، ودار امرأةٍ مِنْ حِمْيَر ؛ فإنَّ حِمْيَرَ حَمَتْهَا[4].

---

[1] البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ و ٣٥٢ . والطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٩١ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٧. وابن طباطبا ، الفخري ، ص١١٣ و ١١٦ . وأبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ١٩٢ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٩١ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦١٩ – ٦٢٠ . وقد ذكر ابن أعثم الكوفي أن مسلم بن عقبة أباح المدينة ثلاثة أيام بلياليهن . انظر : الفتوح ، ج ٥ ، ص ٣٠٠ .

[2] البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥ و ٣٥٢. والطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٩١. وابن الأثير ، المصدر السابق ، ص ١١٧ . والنويري ، المصدر السابق ، ج ٢٠ و ص ٤٩٣ .

[3] ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

[4] البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .

وكافأ مُسْلِمُ بن عقبة بني حارثة على صنيعهم معه ؛ فَأَمَّنَهُمْ ولم يقتل منهم أحدا ؛ بل كان قصرُ بني حارثة أمانا لمن أراد أهلُ الشام أن يؤمنوه[1].

وهنا لا بُدَّ لنا مِنْ وقفة حيال هذا الموضوع ؛ ذلك أن مسألة إباحة المدينة بمعني نَهْبِهَا –كأحد تعليمات يزيد لمسلم بن عقبة ، أو كواقع فعليّ حدث لأهل المدينة بعد هزيمتهم أمام أهل الشام في هذه الموقعة– لم يذكرها خليفةُ بن خياط في تاريخه ؛ مع أنه من أقدم المؤرخين الذين وصلتنا كتبهم كاملة ؛ وإنما ذكرها ابن سعد في كتابه الطبقات الكبري[2]. وصاحب الإمامة والسياسة[3]. وذكرها كذلك البلاذري[4] ، والطبري ومَنْ نَقَلَ عنه[5] ؛ من رواية أبي مخنف لوط بن يحيي ، وهو من الشيعة الذين يكرهون الأمويين ويُكنُّونَ لهم عداءً كبيرا ، فضلا عن أنه ضعيف وليس بثقة ؛ فقد قال عنه الذهبي : " أبو مخنف ، إخباري تالف ، لا يوثق به. تركه أبو حاتم وغيره ،

---

(1) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(2) ج٥ ، ص ٣٩ (ترجمة مروان بن الحكم) وذلك من رواية موسي بن إسماعيل عن جويرية بن أسماء عن نافع قال : " وانتهبت المدينة ثلاثة أيام ".

(3) ج ١ ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

(4) أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٠ – ٣٤١ .

(5) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٩١ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤. وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٧ . والنويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٩١ . وابن كثير، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦١٩ – ٦٢٠ . وانظر كذلك : ابن طباطبا ، الفخري ، ص١١٣ و ١١٦ . وأبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ١٩٢ ، فقد ذَكَرَا أيضا مسألة إباحة المدينة ثلاثة أيام .

وقال الدارقطني : ضـــعيف . وقال ابن معين : ليس بثقـــة . وقال ابن عدي : شـــــيعي محترق ، صاحب أخبارهم "[1].

وذكرها البـــلاذري أيضـــاً من روايـــة عوانة بن الحكـــــم[2] ، والواقـــدي[3] ، ووهب بن جرير[4]. في حين أن الطـــبري ذَكَرَ روايتي عوانة بن الحكم ووهب بن جرير ولم يأت بهما أيُّ ذِكْرٍ لأمْرِ هذه الإباحة[5]. الأمر الذي يعني أن الشـــك في هذه المســـألة أمْرٌ قائمٌ ؛ بسبب أبي مخنف المعروف بعدائه الشديد للأمويين وموالاتـــه للشـــيعة ، وبســـبب اختلاف روايتي عوانة بن الحكم ووهب بن جرير عند الطبري عنهما عند البلاذري . فإذا أضفنا إلى ذلك أننا بصدد حادثة وقعت في صـــدر الدولـــة الأموية –وهو زمن قريب جدا مِنْ عصر النبوة والخلافة الراشدة– وما زال كثير من الصحابة –كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن زيد بن عاصم ، وجابر بن عبد الله ، وأبي ســـعيد الخدري ، وغيرهم– وأبنـــائهم على قيد الحياة ، ويعيشون بين أظهر الناس ، ولهم تأثير كبير عليهم ، والدين متغلغـــل في النفوس ومُتَمَكِّنٌ منهـــا ، والناس متمسكون بتعاليم دينهم إلى حَدٍّ كبير ، ولـــديهم وازع ديني يمنعهم من ارتكاب مثل هذه الأمور التي لا تتفق وتعاليم الإسلام ؛ فإن لنا أن نطمئن تماماً إلى أن مســـألة إباحة المدينة هذه لم تحدث إطلاقا .

---

(1) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، القسم الثالث ، ص ٤١٩ ــ ٤٢٠ .

(2) أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ .

(3) المصدر السابق ، ص ٣٤٥ – ٣٤٦ .

(4) المصدر السابق ، ص ٣٥١ – ٣٥٢ .

(5) تاريخ الرســـل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٩١ و ٤٩٥ . ويلاحظ أن رواية وهب بن جرير التي ذكرهـــا الطبري فيهـــا جهالة في السَّـــنَدِ وَرَدَ في قوله " سَمِعْتُ أَشْيَاخَ أَهْلِ المدينة ". الأمر الذي يضعفها أيضـــا .

ومع ذلك ؛ فقد ذكر بعض الباحثين المحدثين –في كتبهم– مسألة إباحة المدينة لمدة ثلاثة أيام ؛ علي أنها أمرٌ مُسَلَّمٌ به ، وكأنهم مقتنعون تماماً بحدوثها ، ولم يحاول أحدهم مناقشة احتمال عدم حدوثها[1] ؛ مع أنها مروية من طريق أبي مخنف المعروف بضعفه وتشيعه وعدائه الشديد للأمويين !!!

ولكن هل قام أهل الشام بهتك أعراض النساء بالمدينة بعد المعركة ؟ هذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل فيما يلي :

---

(1) منهم : د/ أحمد شلبي ، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٤٦ . و د/ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ١ ، ص ٢٨٦ . و د/ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٠٧ . و د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، ص ٤٩٣ . و د/ علي إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، ص ٢٨١ . و د/ علي حسني الخربوطلي ، الدولة العربية الإسلامية ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥. و د/ عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، العصر الأموي ، ص ٨٧ . و د/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، أيام العرب في الإسلام ، ص ٤٢٨ .

مسألة هتك أعراض النساء بالمدينة :

مسألة هتك أعراض النساء بالمدينة بعد موقعة الحَرَّة من المسائل الشائعة والشائكة في التاريخ الإسلامي ؛ خاصة وقد ذكرها بعض المؤرخين المتقدمين ، ونقلها عنهم بعض المتأخرين ، ولذلك ينبغي بحثها بروية وهدوء.

وقبل أن أبدأ في عرض ما ورد عن هذه المسألة في كتب التاريخ ؛ أحب أن أوضح بعض الأمور المهمة :

أولا – هذه المسألة لم تكن ضمن تعليمات يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة قائد جيشه عندما أرسله بالجيش إلى المدينة –كما سبق أن ذكرنا– وبالتالي فلا يستطيع مسلمُ بنُ عقبة أن يأمر جيشه –أو يسمح له– بفعل ذلك ؛ لأنه لم يؤمر به أصلا ، ولأنه ليس مسموحاً له ولا لغيره بفعله شرعاً ؛ فضلا عن أنه لو أَمَرَ به أو سَمَحَ بفعله لعاقبه يزيد بن معاوية ؛ لأنه لم يَأْمُرْه به ، ولأنه يسئ له ولِحُكْمِه وللمسلمين ، ولأن أهل المدينة –على حَدّ قول يزيد– قومه وأصله وعشيرته . ولا يُظَنّ بيزيد بن معاوية –مهما بلغ من الفسق والفجور– أن يرضى باغتصاب النساء وهتك أعراضهن ؛ لأنه أَمْرٌ يتنافى تماما مع تعاليم الإسلام السمحة التي التزم بها المسلمون في حروبهم مع أعدائهم من المشركين وغيرهم ؛ فما بالنا والحرب هنا بين طائفتين من المسلمين ؛ إحداهما أهل المدينة المنورة الذين هم أنصار الرسول ﷺ !! كما لا يُظَنّ بيزيد أيضا السكوت عن هذا الأمر –إن كان قد حدث– دون معاقبة الفاعلين ؛ لأنه ليس مِنَ الغفلة بالدرجة التي يَسْكُتُ فيها عن هذا الفعل الذي يسيئ له ولِحُكْمِه وللمسلمين ، وحيث لم تذكر كتب التاريخ التي بين أيدينا أن يزيداً أَمَرَ بذلك ، أو أنه عاقب مَنْ فَعَلَ ذلك –إن كان قد حدث– أو أن أَحَداً من المسلمين –وخاصة الصحابة الذين شهدوا الموقعة– عَاتَبَهُ أو لامَهُ على حدوث ذلك ؛ فإن لنا أن نطمئن تماماً

إلى أن هذا الأمر لم يقع أصلا . بل ذكر ابن كثير ما يؤكد حُزْنَ يزيد علي ما لقيه أهل المدينة في المعركة ؛ فقد نقل عن المدائني " أن مسلمَ بن عقبة بَعَثَ رَوْحَ بن زِنْباع إلى يزيد ببشارة الحَرَّة ، فلما أخبره بما وقع قال : وَا قَوْمَاه . ثم دَعَا الضحاك بن قيس الفِهْرِي فقال له : تَرَي ما لَقِيَ أهلُ المدينة ، فما الرأي الذي يَجْبُرُهم ؟ قال : الطعام والأعطية . فأمر بحمل الطعام إليهم ، وأفاض عليهم أعطيته . وهذا خلاف ما ذكره كذبة الروافض عنه من أنه شمت بهم وشفَي بقتلهم ، وأنه أنشد –إمَّا ذِكْراً وإمَّا أَثَراً– شِعْرَ ابن الزبعري ..."[1].

ثانيا – هذه المسألة لم يذكرها أحد من المؤرخين القدامى الذين نثق بهم ؛ أمثال : ابن سعد في طبقاته ، وخليفة بن خياط في تاريخه ، والطبري في تاريخه ، كما لم يذكرها بعضُ من جاءوا بعدهم ؛ كالمسعودي في كتابيه " التنبيه والإشراف " و " مروج الذهب " ، وابن الأثير في كتابه " الكامل " ، والنويري في " نهاية الأرب " ، وبالتالي فإن عَدَمَ ذِكْرِهِمْ لَهَا يُضْفِي ظلالا كثيرة من الشك علي حدوثها ، ويجعلنا نميل كثيراً إلى عدم حدوثها .

ثالثا – إن هذه الحادثة ذُكِرَتْ في الكتب التي ذَكَرَتْها متضمنة ما يضعفها ويقلل من قيمتها ويبطلها ؛ فهي إما ذُكِرَت بدون إسناد ، أو ذُكِرَت مُسْنَدَةً وفي سندها راوٍ مجهول أو ضعيف ، أو ذُكِرَت في كتابِ مؤرخٍ شيعيٍّ عُرِف بتشيّعه وكرهه للأمويين . وهي كلها أمور تبطلها وتجعلنا نرجح عدم حدوثها ، وذلك على النحو التالي :

قال ابن قتيبة : " قال أبو معشر : ... فقُتِلَ الناس ، وفُضِحَت النساء ، ونُهِبَت الأموال "[2]. وأبو معشر هذا الذي ينقل عنه ابن قتيبة هنا " اسمه نجيح السندي الهاشمي ، مولاهم المدني ... قال ابن معين : ليس بقوي ... وقال ابن مهدي : يعرف وينكر . وقال

---

(1) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٥٤ – ٦٥٥ .

(2) الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ١٠ .

ابن المديني : ذاك شيخ ضعيف ، وحَدَّثَ بأحاديث منكرة . وقال النسائي والدارقطني : ضعيف . وقال البخاري وغيره : منكر الحديث ..."[1]. وقد " ضعفه القطان ، وابن معين، وأبو داود ، والنسائي ، وابن عديّ "[2]. وهذا فضلا عن أن عبارة "فُضِحَت النساء" لا تعني بالضرورة هَتْكَ العِرْضِ وفَضَّ البَكَارَةِ ؛ إذ يمكن أن تُفْضَحَ النساءُ بدون هتك أعراضهن وفَضٍّ بكاراتهن وحملهن سِفاحا !!! فإذا أضفنا إلى ذلك أن كتاب " الإمامة والسياسة " مشكوك في صحة نسبته لابن قتيبة[3] ؛ فإن لنا أن نشك في كثير من الأخبار المذكورة فيه ومنها هذا الخبر مِنْ باب أَوْلَي .

وقال البلاذري : " قالوا : ... وأباح مسلم المدينة ثلاثة أيام ؛ يقتلون ، ويأخذون المتاع ، ويعبثون بالإماء ، ويفعلون ما لا يحبه الله "[4]. وقال في موضع آخر: " قالوا : ثم شَخَصَ مسلم بالجيش بعد أخذه البيعة على ما أراد ، وبعد إنهابه المدينة وتفتيشه النساء"[5]. وكما هو واضح من النص السابق ؛ فإن البلاذري لم يُسَمِّ الذين نقل عنهم ؛ وإنما عَبَّرَ عنهم بكلمة تدل علي أنهم مجهولون ؛ فقال : " قالوا " ، وهي صيغة تضعف القول الذي قالوه ؛ وبالتالي فلا يمكن الاطمئنان إليه والاعتماد عليه . وهذا فضلا عن أن عبارة "يعبثون بالإماء" وعبارة "يفتشون النساء" ليس لها معنىً محدد ؛ بل تحتمل معاني أخري لا تصل إلى مستوي هتك الأعراض وفض الأبكار .

---

(1) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، المجلد الرابع ، ص ٢٤٦ .

(2) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٧ ، ص ٤٨٤ .

(3) انظر ما قاله الأستاذ محب الدين الخطيب محقق كتاب "العواصم من القواصم" عن هذا الموضوع في الحاشية رقم ١ ص ٢٤٨ من الكتاب المذكور .

(4) أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ .

(5) المصدر السابق ، ص ٣٤٨ ــ ٣٤٩ .

وقال اليعقوبي : " وأباح حَرَمَ رسول الله ؛ حتي ولدت الأبكار لا يُعْرَف من أولدهنّ"[1]. وهذا الكلام لا يمكن قبوله من اليعقوبي ؛ لأنه معروف بميوله الشيعية وتفضيله للروايات الشيعية في تاريخه[2]. والشيعة معروفون بعدائهم للأمويين ، وبالتالي لا يمكن الاطمئنان لأقوالهم في مثل هذه الأمور .

وقال ابن الجوزي : " ذكر أبو الحسن المدائني عن أشياخه ... وأباح مسلم المدينة ثلاثا ؛ يقتلون الناس ويأخذون الأموال ... ووقعوا على النساء "[3]. ونقل في موضع آخر " عن المدائني ، عن أبي قُرَّة ، قال : قال هشام بن حسان : وَلَدَتْ أَلْفُ امرأةٍ بعد الحَرَّة مِنْ غير زوج "[4]. وكما هو واضح ؛ فإن ابن الجوزي نقل عن المدائني –في المرة الأولى– بسند ناقص فيه جهالة في قوله "عن أشياخه". فَمَنْ هم شيوخ المدائني الذين روى عنهم ؟ ولماذا لم يُسَمِّهِم ؟ وفي المرة الثانية نقل "عن المدائني ، عن أبي قرة " ، وهو أبو قرة الأسدي ؛ قال عنه الذهبي : " حَدَّثَ بِصَيْدَا عن سعيد بن المُسَيَّب ، مجهول "[5]. وقال عنه ابن حجر العسقلاني : " مِنْ أهل البادية ، مجهول من السادسة "[6]. وبالتالي فلا يمكن قبول ما ذكره ابن الجوزي هنا –نقلا عن المدائني– للجهالة الموجودة في بعض الرواة الموجودين في سنده .

---

(1) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ .

(2) روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص ١٨٤ .

(3) المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢ ــ ١٥ . وقد ذكر ابن كثير هذه الرواية للمدائني ؛ ويبدو أنه نقلها عن ابن الجوزي وإن لم يصرح بذلك . انظر : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٢١ .

(4) المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥ . وقد ذكر ابن كثير أيضا هذه الرواية للمدائني ؛ ويبدو أنه نقلها عن ابن الجوزي وإن لم يصرح بذلك . انظر : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٢١ .

(5) المغني في الضعفاء ، ج ٢ ، ص ٨٠٣ . وميزان الاعتدال ، المجلد الرابع ، ص ٥٦٤ .

(6) لسان الميزان ، ج ٧ ، ص ٤٧٩ .

وقال ابن طباطبا : " ثم أباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثا ؛ فَقَتَلَ ونَهَبَ وَسَبَى . فقيل : إن الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان إذا زَوَّجَ ابنته لا يضمن بكارتها ويقول : لعلها قد افتُضَّت في وقعة الحَرَّة "[1]. وبالطبع فلا يمكن تصديق ابن طباطبا فيما ذكره هنا ؛ لأنه –على حَدِّ قول الدكتور أحمد أمين– شيعي لَوَّنَ كتابه باللون الشيعي[2]. ولأنه ذَكَرَ عبارات لم يذكرها أحدٌ ممن سبقه من المؤرخين ؛ مع أنه متأخر جدا عن وقت حدوث الواقعة[3] ؛ وقد بدأ هذه العبارات بقوله : "قيل". وهي صيغة تمريضية تُضَعِّفُ الخَبَرَ المذكور .

وقال أبو الفدا : " وأباح مسلمُ مدينَةَ النبيّ ﷺ ثلاثة أيام ؛ يقتلون فيها الناس ، ويأخذون ما بها من الأموال ، ويفسقون بالنساء "[4]. وكما هو واضح فإن أبا الفدا لم يذكر مصدره الذي نقل عنه هذا الخبر ؛ مع أنه من المتأخرين جدا عن وقت حدوث الحادثة[5] ؛ وبالتالي فلا يمكن قبول ما ذكره ، أو التسليم به ؛ فضلا عن أن عبارة "يفسقون بالنساء" التي ذكرها ؛ تحتمل في المعني ما هو أقل من هتك العرض وفضّ البكارة .

---

(1) الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١١٦ .

(2) انظر : ظهر الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢١٦ .

(3) عاش ابن طباطبا في أواخر القرن السابع الهجري ، ومات في أوائل القرن الثامن سنة ٧٠٩ هـ .

(4) المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

(5) عاش أبو الفدا في أواخر القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن ، وتوفي سنة ٧٣٨ هـ .

وأخيراً قال الذهبي : " قال جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، قال : نهب مُسْرِفُ بن عقبة المدينة ثلاثا ، وافتضَّ فيها ألف عذراء "[1]. وكما هو واضح من النص السابق ؛ فإن الذهبي لم يذكر المصدر الذي نقل عنه هذه الرواية الناقصة السند ؛ فالسند الذي ذكره الذهبي هنا ينقص عدداً كبيرا من الرواة بين الذهبي الذي مات سنة ٧٤٢هـ ، وبين جرير ابن عبد الحميد الذي مات سنة ١٨٨هـ ، الأمر الذي يشكك في صحة ما تضمنته هذه الرواية ؛ حتي ولو كان الذهبي ناقلها .

وهكذا يتضح لنا أن مسألة هتك أعراض النساء بالمدينة وَفَضِّ أبكارهن بعد موقعة الحَرَّة –وكذا مسألة إباحة المدينة– لم تُذْكَر في أيٍّ من المصادر التاريخية القديمة الموثوق بها ؛ بسند صحيح تطمئن النفس إليه ، وإنما ذُكِرَت في بعض الكتب من طريق ضعيف –كما هو الحال في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ، وفي نسبته إليه شك كبير ؛ حيث رواها عن أبي معشر . وكما هو الحال عند ابن الجوزي ؛ حيث رواها عن المدائني عن أبي قرة– أو من طريق مجهول –كما هو الحال عند البلاذري ، وعند ابن الجوزي أيضا– أو بسند ناقص –كما هو الحال عند الذهبي– أو بدون سند ودون ذكر للمصدر المنقول عنه –كما هو الحال عند كل من أبي الفدا ، وابن تغري بردي ، والسيوطي– أو ذُكِرَت في بعض الكتب التي عُرِفَ مؤلفوها بتَشَيُّعِهِم وكُرْهِهِم للأمويين –كما هو الحال عند اليعقوبي وابن طباطبا– وأن ثلاثة فقط من هذه المصادر هي التي عبَّرَت عن هذه المسألة بألفاظ صريحة يفهم منها هتك العرض والحمل سفاحا ؛ وهم اليعقوبي –حيث قال : ولدت الأبكار لا يعرف من أولدهن– وابن الجوزي في إحدى

([1]) تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢٦ . وقد ذكر ابن تغري بردي والسيوطي نفس العبارة التي ذكرها الذهبي (وافتض فيها ألف عذراء) ، فيبدو أنهما نقلاها عنه وإن كانا لم يشيرا إلى ذلك . انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ١٦١ . و تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص ٢٠٩ .

رواياته عن المدائني– حيث قال: ولدت ألف امرأة بعد الحَرَّةِ مِنْ غير زوج– وهي رواية ضعيفة جدا . وابن طباطبا وهو معروف بميوله الشيعية ، وقد انفرد بذكر عبارات لم يذكرها أحد قبله من المؤرخين . الأمر الذي يؤكد أن هذا الأمر مختلق ولا أساس له من الصحة .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن مسألة إباحة المدينة –كتعليمات ليزيد بن معاوية ، أو كواقع فعلي حدث لأهل المدينة بعد المعركة– مشكوك أصلا في صحتها ؛ لأنها مروية من طريق أبي مخنف لوط بن يحي ، وهو شيعي إخباري تالف –كما سبق أن ذكرنا– فإن لنا أن نطمئن إلى أن هذين الأمرين لم يقعا إطلاقا . وهل يُعقل حدوث هذا في زمن الصحابة والتابعين ؟!!

كثرة القتلى :

وقد قُتِلَ خلال هذه المعركة عدد كبير جدًّا من الطرفين منهم "جماعة من وجوه قريش والأنصار ، وخيار الناس والصحابة والتابعين"[1].

فَمِمَّنْ قُتِلَ فيها من الصحابة ووجوه الناس من قريش والأنصار : عبد الله بن حنظلة الغسيل الأوسي المدني ؛ له صحبة ورواية[2]. والصحابي الجليل عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري ؛ الذي حَكَي وُضُوءَ رسول الله ﷺ [3]. ومعقل بن سنان الأشجعي ؛

---

(1) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

(2) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢٤ . وابن تغري بردي ، النجوم الزهرة ، ج ١ ، ص ١٦١

(3) الذهبي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ . وعبد الله بن زيد المذكور هنا ليس بصاحب الأذان ؛ ذاك ابن زيد بن ثعلبة . انظر : ابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١٢١ .

حامل لواء قومه أشجع يوم الفتح مع رسول الله ﷺ [١]. وربيعة بن كعب أبو فراس الأسلمي ، وهو من المهاجرين ، ومن أصحاب الصُّفَّة ، وقد كان يخدم النبي ﷺ [٢]. وعمرو بن عنْبسة ، وهو أخو أبي دلامة ؛ قَدِمَ علي النبي ﷺ فكان رابع مَنْ أسلم ، ورَجَعَ ، ثم هاجر إلى المدينة ، وكان أحد الأمراء يوم اليرموك[٣]. وجرهد الأسلمي ، له صحبة وكان من أصحاب الصُّفَّة أيضاً[٤]. وواسع بن حبان الأنصاري ، مختلف في صحبته[٥]. وذكوان مولى عائشة ؛ كانت تُصَلِّي خلفه[٦]. وأبو حكيم معاذ بن الحارث الأنصاري القارئ ، الذي أقامه عمر بن الخطاب يصلي بالناس التراويح[٧]. وإبراهيم بن نعيم النحام العدوي القرشي ؛ وهو زوج رقية بنت عمر بن الخطاب ﷺ [٨]. ومالك بن عياض المزني ، وقد كان خازنا لعمر بن الخطاب ﷺ [٩]. وكثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري ، وهو أحد نساخ المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان ﷺ إلى الأمصار[١٠]. وغيرهم كثير .

---

(١) الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٤ – ٢١٥ . والذهبي ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ح ١١ ، ص ٦١٩ (حاشية) و ص ٦٢٣ (حاشية) .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦١٩ (حاشية) .

(٤) نفسه .

(٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ح ١١ ، ص ٦٢٣ (حاشية) .

(٧) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢٩ . وابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٦٢٢ (حاشية) .

(٨) الذهبي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ – ٢٩ . وابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٦٢٢ (حاشية) .

(٩) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٦١٩ (حاشية) .

(١٠) الذهبي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ . وابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٦٢٢ (حاشية) .

وممن قُتِـلَ فيها مِنْ أبناء الصحابة من قريش : أبو بكـــر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والفضـــل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، ويزيـــد ووهـــــب ابنـــا عبد الله بن زمعـــة ، وزيد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، ومحمد بن المسور بن مخرمة ، وعمير وعمرو ابنا ســـعد بن أبي وقاص ، ويعقـــوب بن طلحـــة بن عبيـــد الله التيمي ، وعبيد الله بن محمـــد بن أبي بكر الصـــديق ، وأبو بكر بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله وسليمان ابنا عاصم بن عمر بن الخطاب ، وعمر أو عمرو بن ســـعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل[1]. وغيرهم .

ومن أبناء الصحابة مـن الأنصـار ، قُتِلَ : سهل ومحمد ابنا عثمان بن حنيف ، وعبد الله ابن سعد بن معاذ ، ومحمد بن بشـــير بن معاذ ، وعمرو بن يزيد بن السكن الأنصـــاري ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن ســـهل ، وسهل بن أبي أمامة ، وســـعيد وسليمـــان وزيـــد ويحي وعبيد الله بنو زيد بن ثابت بن الضحـــاك ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، ومحمد بـــن أُبَيّ بن كعب ، وعبد الله ويحي ابنا أنس بن مالك ، ومحمـــد ويحي وعبد الله بنـــو ثابت بن قيس بن شماس ، ومحمد بن كعب بن عجرة ، وأخوه سعد بن كعب ، وعبد الرحمن بن أبي قتادة[2]. وغيرهم .

وصـــفوة القول : إن القتلى من الطرفين في هذه المعركة كان عددهم كبيرًا . وقد اختلف المؤرخون في عددهم وتصنيفهم اختلافا كبيرا ؛ فبينما يذكر خليفة بن خياط أن

---

(1) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص١٥٠ – ١٥٢ . وجدير بالذكر أن أبا بكـــر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب المذكور هنا ضمن مَنْ قُتِلَ مِنْ أبناء الصحابة من قريش ؛ هو أحد أبناء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي كلم يزيد بن معاوية في أهل المدينة ورققه عليهم .

(2) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص١٥٢ – ١٥٤ .

"جميعَ مَنْ أُصِيبَ مِنْ قريش من أنفسهم سبعة وتسعون رجلا "[1]. وأن " جميع من أصيب من الأنصار مائة رجل وثلاثة وسبعون رجلا "[2]. يعود فيقول : إن " جميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاث مائة رجل وستة رجال "[3]. وهو رقم يخالف نتيجة جمع الرقمين السابقين !!

ويتفق السيوطي مع خليفة بن خياط في عدد القتلى من قريش والأنصار معا ؛ حيث يذكر السيوطي أن " عدة المقتولين بالحَرَّة مِنْ قريش والأنصار ثلاثمائة وستة رجال "[4].

ويكاد النويري يتفق تماما مع ما ذهب إليه خليفة بن خياط مِنْ عدد القتلى مِنْ كُلٍّ مِنْ قريش والأنصار ؛ حيث يقول النويري : " انتهي القتل يومئذ فيما ذكروا إلى ثلاثمائة ، كلهم من أبناء المهاجرين والأنصار ، ومنهم جماعة ممن صحب رسول الله ﷺ ، وبلغت قتلى قريش يومئذ نحو مائة ، وقتلى الأنصار والحلفاء والموالي نحو مائتين "[5].

ويكاد المسعودي –في مروج الذهب– يتفق مع خليفة بن خياط فيما ذهب إليه من عدد القتلى من قريش ؛ في حين يخالفه تماما في عدد القتلى من الأنصار ؛ حيث يذكر المسعودي أن موقعة الحَرَّة "كانت وقعة عظيمة قُتِلَ فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس ؛ فَمِمَّنْ قُتِلَ ... بضع وتسعون رجلا من سائر قريش ، ومثلهم من الأنصار ... "[6]. في حين يخالف المسعودي نفسه تماما في

---

(1) تاريخ خليفة ، ص١٥٢ .
(2) المصدر السابق ، ص ١٥٥ .
(3) نفسه .
(4) تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٠ .
(5) نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٤٩٥ .
(6) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٩ .

كتاب آخر له –هو كتاب التنبيه والإشراف– فيقول : " قُتِلَ عبدُ الله بن حنظلة في عدة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم ومواليهم وحلفائهم وغيرهم ؛ من ذلك من قريش والأنصار نحو من سبعمائة رجل ... "[1].

ويتفق ابن قتيبة مع ما ذكره المسعودي في كتاب " التنبيه والإشراف " عن عدد القتلى من قريش والأنصار ؛ فيقول : " ذكروا أنه قُتِلَ يوم الحَرَّة ... مِنْ قريش والأنصار سبع مئة "[2]. ويذكر في موضع آخر قول الزهري : " بلغ القتلى يوم الحَرَّة من قريش والأنصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبع مئة "[3]. وهذا يعني أنه أدخل في العدد السابق المهاجرين ووجوه الناس . في حين يذكر في موضع ثالث قول أبي معشر : "حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال : قُتِلَ بضعة وسبعون رجلا من قريش ، وبضعة وسبعون رجلا من الأنصار ... "[4]. وهو قول مخالف تماما لكل الأقوال السابقة .

ويذكر ابن الجوزي ، وأبو الفدا ، وابن كثير ، رواية الزهري التي ذكرها ابن قتيبة آنفا ، والتي فيها أن عدد القتلى يوم الحَرَّة كان سبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين[5].

---

[1] التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٤ .

[2] الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

[3] المصدر السابق ، ص ٢٢٠ . وفي موضع ثالث (ص ٢١٥) يقول ابن قتيبة : " بلغ عدد قتلي الحَرَّة يومئذ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألفا وسبع مئة ". وأغلب الظن أن لفظة " ألف " الموجودة في هذا النص مزيدة على سبيل الخطأ من النساخ أومن المطبعة .

[4] المصدر السابق ، ص ٢١٠.

[5] انظر : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦ . والمختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ١٩٢ . والبداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٢٣ .

ويذكر البلاذري رواية أبي مخنف والتي يجعل فيها العدد السابق (سبعمائة) مقصورا على القتلى من وجوه قريش ؛ فيقول : " قال أبو مخنف : قُتِلَ بالحَرَّة من وجوه قريش سبعمائة رَجُلٍ وكَسْر ، سِوَي مَنْ قُتِلَ مِنَ الأنصار "[1].

في حين يذكر ابن أعثم أنه " قُتِلَ مِنْ أولاد المهاجرين ألف وثلاثمائة ، وقُتِلَ مِنْ أبناء الأنصار ألف وسبعمائة "[2]. وهو قول لم يقل به أحد غيره ، وإن كان يتفق إلى حد كبير مع ما ذكره خليفة بن خياط والنويري عن إجمالي عدد القتلى من المهاجرين والأنصار ، ولكنه يختلف في التفاصيل .

مما سبق يتضح أن معظم المؤرخين –ابن قتيبة في أحد المواضع ، والمسعودي في "التنبيه والإشراف" ، وابن الجوزي في "المنتظم" ، وأبو الفدا في "المختصر" ، وابن كثير في "البداية والنهاية "– اعتمدوا على رواية الزهري الواردة عن عدد القتلى من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ، والتي قدرته بسبعمائة رجل ، وفَضَّلُوهَا على رواية أبي مخنف التي ذكرها البلاذري ، ورواية أبي معشر التي ذكرها ابن قتيبة .

وإذا كان قد قُتِلَ من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين العدد السابق ؛ فقد ذكر معظم المؤرخين –نقلا عن الزهري– أن عدد القتلى من سائر الناس من الموالي

---

[1] أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ – ٣٥١ .

[2] الفتوح ، ج ٥ ، ص ٢٩٥ .

والعرب والتابعين ومن لا يُعْرَف عشرة آلاف[1]. وهذا العدد بالطبع غير مَنْ سَبَقَ ذكرهم مِنْ قتلى قريش والأنصار والمهاجرين.

ومع ذلك فقد ذكر ابنُ قتيبة في أحد المواضع رواية أبي معشر ، وفيها أنه قُتِلَ من الناس نحو أربعه آلاف[2].

ويذكر البلاذري رواية الهيثم بن عدي وفيها أنه " قُتِلَ يوم الحَرَّة من أخلاط الناس نحو من ستة آلاف وخمسمائة "[3].

ويذكر ابن أعثم أنه قُتِلَ من العبيد والموالي وسائر الناس ثلاثة آلاف وخمسمائة[4].

ويذكر المسعودي في " مروج الذهب " أنه قُتِلَ أربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء ، دون من لا يُعْرَف[5].

وهذا يعني أن المؤرخين مختلفون فيما بينهم حول عدد من قُتِلَ في هذه المعركة من عامة الناس ، وإن كان معظمهم معتمدا على رواية الزهري التي قدرت القتلى من العامة بنحو عشرة آلاف .

---

(1) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٥ و ٢١٦ و ٢٢٠ . والمسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٤ . وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦ . وأبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ١٩٢ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٢٣ .

(2) الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(3) أنساب الإشراف ، ج ٥ ، ص ٣٥١ .

(٤) كتاب الفتوح ، ج ٥ ، ص ٢٩٥ .

(٥) ج ٣ ، ص ٧٩ .

وأخيرا فقد ذكر ابن قتيبة " أنه قُتِلَ يوم الحَرَّة من أصحاب النبي ﷺ ثمانون رجلا ، ولم يَبْقَ بَدْرِيٌّ بعد ذلك "[1]. وذكر الذهبي أنه " رُوِيَ عن مالك بن أنس قال : قُتِلَ يوم الحَرَّة من حَمَلَةِ القرآن سبعمائة"[2].

والخلاصة أن عدد القتلى في هذه الموقعة كان كبيراً بحيث زاد عن عشرة آلاف ؛ منهم كثير من الصحابة وأبناء الصحابة ووجوه الناس من قريش والمهاجرين والأنصار ، والباقون من عامة الناس ، وبعض هؤلاء قُتِلَ صَبْرًا بين يدي مُسْلِم بن عقبة أثناء البيعة ليزيد بعد انتهاء المعركة –على النحو الذي سأذكره بعد قليل– ومعظمهم قُتِلَ أثناء المعركة.

وقد كَثُرَ القَتْلَى بسبب إسراف مسلم بن عقبة في القَتْل ، الأمر الذي بسببه سُمِّيَ مُسْلِمُ بنُ عقبة بعد الوقعة مُسْرِفَا[3].

وليس أدل على إسراف مسلم بن عقبة في القتل ، وأنه كان يمكنه العفو عن كثير ممن قتله ، مِنْ قول مروان بن الحكم له : " قد والله سقيتني من دماء هؤلاء القوم ، إلا ما كان من قريش ؛ فإنك أثخنتها وأفنيتها . فقال مُسْلِمُ : والله لا أعلم عند أَحَدٍ غِشًّا لأمير المؤمنين إلا سألت الله أن يسقيني دَمَه . فقال : إن عند أمير المؤمنين عَفْوًا لهم ، وحِلْمًا عنهم ليس عندك "[4].

---

(1) الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٦ و ٢٢٠ .

(2) تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(3) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٨ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٢ و ١٢٠ . وابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١١٦ . والنويري ، نهاية الأرب، ج ٢٠ ، ص ٤٩٣. وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(4) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

بيعة أهل المدينة ليزيد :

ولّما انتهت المعركة وقُتِل فيها مَنْ قُتِل ، دعا مسلمُ بنُ عقبة مَنْ بَقِيَ مِنْ أهل المدينة إلى البيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية يحكم في أهليهم ودمائهم وأموالهم ما شاء [1]. فَمَنْ امتنع من ذلك قتله ، وَمَنْ بايع نَجَا[2]. فقُتِلَ بسبب ذلك جماعة من أشراف المدينة ؛ منهم : يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود ، ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ، وزيد بن وهب بن زمعة . وعبد الرحمن بن سمرة بن جندب ، وغيرهم[3].

فأما يزيد بن عبد الله بن زمعة[4] ؛ فقد قال له مسلمُ بن عقبة : بَايِعْ لأمير المؤمنين عَلَى أنك قِنٌّ يحكم في مالك ودمك . قال : أبايعك له على كتاب الله وسنة نبيه ، وعلى أني ابن عمه . فَقَدَّمَهُ مسلمُ بنُ عقبة فَضَرَب عُنُقَه[5].

---

(1) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ص ١٤٩ . والبلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ و ٣٥٣ . والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٩٥ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٨ . والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٢٩ . والنويري ، نهاية الأرب، ج ٢٠ ، ص ٤٩٣ .

(2) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٩ . وابن الأثير ، المصدر السابق ، ص ١١٨. والنويري ، المصدر السابق ، ص ٤٩٣ .

(3) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٦ و ٣٤٧ . وابن أعثم ، الفتوح ، ج ٥ ، ص ٢٩٦ . والطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٩٣ .وابن الأثير ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(4) يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود الأَسَدي ، أمه بنت أبي سلمة ، وجدّتُهُ أم سلمة زوج رسول الله صلي الله عليه وسلم . البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٦ .

(5) البلاذري ، نفسه .

وأما محمد بن أبي الجهم ؛ فقد رفض أيضـــا أن يبايع ليزيد على أنه عَبْدٌ له يحكـــم في أهله ودمه وماله ما شـــاء ، وقال لمسلم : أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه ، فأمر مسلم فَضُرِبَتْ عُنقُهُ[1].

وأما زيد بن وهب بن زمعة ؛ فقد قال له مسلم : بَايِعْ . قال : أبايعك على سُنَّةِ عُمَر. قال : اقتلوه . قال : أنا أبايع . قال : لا والله لا أُقِيلَكَ عَثْرَتَك. ثم أَمَرَ به فقُتِل[2].

وأما عبد الرحمن بن ســـمرة بن جندب ؛ فقد جيء به إلى مسلم بن عقبة ، فقال له مسلم : مَنْ الرجل ؟ قال : رجلٌ مِنْ بني أمية . فقال : بَايِعْ يزيدَ على أنك عَبْدُهُ . فقال : ما كنت قط إلا حُرًّا فكيف أكون عَبْدًا ليزيد وأنا معه في عبد شمس . فقـــال : اضـــربوا عنقه . فجردوه بين يديه فضربـــوا عنقه[3].

وهكذا قُتِلَ مِنْ أهل المدينة كُلُّ مَنْ رَفَضَ –أو تَرَدَّدَ في– البيعة ليزيد بن معاوية على أنه عَبْدٌ له يحكم في دمه وأهله وماله بما شـــاء ؛ الأمر الذي جعل المسعودي يَعُدُّ ذلك من أعظم الأحداث في الإسلام وأَجَلِّهَا رِزْءًا بعد قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب[4].

---

(1) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .

(2) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٩٣ . وابن أعثم ، الفتوح ، ج ٥ ، ص ٢٩٦ . وابن الأثير ، الكامل ، المجلد الرابع ، ص ١١٩ .

(3) ابن أعثم ، المصدر السابق، ص ٢٩٦ .

(4) التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٤ .

سؤال مهم :

ولكن هل كان أهل المدينة على صواب في خروجهم علي يزيد بن معاوية ، وخَلْعِهِمْ له ؟ وعَلَى مَنْ تقع المسئولية فيما حدث ؟ وهل أحْسَنَ يَزِيدُ التعامل مع هذا الموقف منهم ؟ هذا ما سنوضحه فيما يلي :

أولا – لم يكن لأهل المدينة أيُّ حَقٍّ في الخروج علي يزيد بن معاوية وخلعه ؛ ذلك أن السبب الذي أعلنوه كمبرر للخروج عليه وخَلْعِه –وهو شربه الخمر ، وتأخيره الصلاة عن موعدها ، ولعبه بالقرود ... إلخ– مردود عليه بما قاله لهم محمد بن الحنفية –عندما طلبوا منه أن يخلع يزيداً كما خلعوه ، وأن يَتَوَلَّى أمرَهم ، فرفض ، ورَدَّ عليهم مقالتهم عن يزيد ، وأنكرها ولم يؤيدهم فيها– وقد سبق ذكر ذلك[1]. وحتي لو افترضنا صحة ما قالوه عنه ؛ فإنه يُعَدُّ فاسقاً ، والفاسقُ لا يجوز خلعه كما قال ابن كثير ؛ فإنه تحدث عن هذه المسألة بما يُفْهَمُ منه أنه يري هذا الرأي ؛ فقال : " ولما خرج أهل المدينة عن طاعته وخلعوه ، وولّوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة ، لم يذكروا عنه ؛ وهم أشَدّ الناس عداوة له ؛ إلا ما ذكروه عنه من شربه الخمر وإتيانه بعض القاذورات ؛ لم يتهموه بزندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض ، بل قد كان فاسقا ، والفاسق لا يجوز خلعه ؛ لما يؤدي ذلك إليه من الفتنة ووقوع الهرْج ، كما وقع زمن الحَرَّة "[2]. وقال أيضا : " ... والإمام إذا فَسَقَ لا يُعْزَل بمجرد ذلك ، على أصح قولي العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه ؛ لما في ذلك من إثارة الفتنة ، ووقوع الهَرْج ، كما جَرَي "[3].

---

(1) انظر صفحة ٣٩٢٦ من هذا البحث .

(2) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٥٢ .

(3) المصدر السابق ، ص ٦٣٠ .

وبالتالي فإن المسئولية فيما حدث " تقع على أهل المدينة ، وعلى عبد الله بن حنظلة وعبد الله بن مطيع بصفة خاصة "[1]. وما أحسن قول الشيخ الخضري رحمه الله : " إن الإنسان ليعجب من هذا التهور الغريب ، والمظهر الذي ظهر به أهل المدينة في قيامهم وحدهم بخلع خليفة في إمكانه أن يُجَرِّدَ عليهم من الجيوش ما لا يمكنهم أن يقفوا في وجهه ، ولا يُدْرَي ما الذي كانوا يريدونه من خلع يزيد ؟ أيكونون مستقلين عن بقية الأمصار الإسلامية؛ لهم خليفة منهم يلي أمرهم ؟ أم حَمْل بقية الأمة على الدخول في أمرهم ؟ وكيف يكون هذا وَهُمْ منقطعون عن بقية الأمصار ، ولم يكن معهم في هذا الأمر أحد من الجنود الإسلامية !! إنهم فَتَقُوا فَتْقاً وارتكبوا جُرْماً ، فعليهم جُزْءٌ عظيمٌ مِنْ تَبِعَةِ انتهاك حرمة المدينة "[2].

ويبدو " أنه لم يكن وراء هذه الثورة من دافع سوى الكره للحكم الأموي ، ولكن هل مجرد الكُرْهِ يكفي ليكون سبباً للثورة ؟ فلو أن كُلَّ كَارِهٍ لحكومةٍ ثَارَ عليها لما بقيت حكومة ولا دولة . وهل هناك حكومة –بعد حكومة الرسول وأبي بكر وعمر– كانت موضِعَ رِضاً مِنْ جميع الناس؟ "[3].

ثانيا – كان يجب علي يزيد بن معاوية أن يصبر على أهل المدينة أكثر من ذلك ، بل كان يجب عليه أن يَمُدَّ حَبْلَ الصَّبْرِ عليهم إلى أبعد مدى ، لا أن يكتفي بإنظارهم ثلاثة أيام ، بل كان يجب عليه أن يذهب إليهم بنفسه –ومعه كبار الصحابة ، وكبار علماء الأمة وقادتها ، وذوي الرأي والمكانة فيها– لمناقشتهم وسؤالهم عن مطالبهم ، وبيان وجه

---

(1) د/عبد الشافي عبد اللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، ص ٤٩٣ .

(2) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) ، ص ١٣٢ .

(3) د/عبد الشافي عبد اللطيف ، المرجع السابق، ص ٤٩٣ .

الحق لهم فيما قد يكونوا أخطأوا في فهمه ، ومحاولة إرجاعهم إلى الجماعة ، ورَدِّهِمْ عَمَّا هُمْ فيه مِنْ شَقِّ عَصَا الطاعة ؛ فهم أنصار الرسول ﷺ وأحباؤه ، الذين آووه ونصروه ، والذين عَظَّمَ الرسولُ ﷺ شَأنَهُم بتغليظ عقاب مَنْ يُخِيفُهُمْ أو يُرِيدُهُمْ بِسُوء ؛ فقد روي البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : " لا يكيدُ أهلَ المدينة أحدٌ بِسُوءٍ إلا انْمَاعَ كما يَنْمَاعُ المِلْحُ في الماء "(١). وروي مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : " من أراد أهل هذه البلدة بِسُوءٍ ، يعني المدينة ، أذابه الله كما يذوب المِلْحُ في الماء "(٢). وروي الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال : " من أخاف أهل المدينة أخافه الله عَزَّ وَجَلَّ ، وعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ؛ لا يقبل الله منه يوم القيامة صرْفا ولا عَدْلا "(٣). فكان الأولى بيزيد بن معاوية أن ينأى بنفسه عن أن يكون مِمَّنْ تشملهم هذه الأحاديث ولو ضاع منه ملك الدنيا كلها ، ولكن يبدو أنه –كما يقول ابن كثير– " كان يري أنه الإمام ، وقَدْ خَرَجُوا عن طاعته ، وأَمَّرُوا عليهم غيرَه ، فَلَهُ قِتَالُهُم حتي يرجعوا إلى الطاعة ، ولزوم الجماعة ... وقد جاء في الحديث الصحيح : مَنْ جَاءَكُم وأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بينكم فاقتلوه كائناً مَنْ كان "(٤).

---

(١) كتاب الحج ، باب إثم من كاد أهل المدينة ، حديث رقم ١٧٤٤ .

(٢) كتاب الحج ، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله ، حديث رقم ٢٤٥٦ .

(٣) رواه الإمام أحمد في أول مسند المدنيين من حديث السائب بن خلاد أبي سهلة ﷺ ، حديث رقم ١٥٩٦٤.

(٤) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٦٣١ . والحديث رواه مسلم في صحيحه بسنده إلي عرفجة ــ كتاب الإمارة ، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ، حديث رقم ٣٤٤٣ ــ بلفظ مختلف ، ونصه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه ".

ونختم الكلام عن هذه الموقعة بقول ابن كثير : " أراد يزيدُ بإرسال مسلم بن عقبة تَوْطِيدَ سُلْطَانه وَمُلْكه ، ودَوَامَ أَيَّامه ، فعاقبه اللهُ بنَقِيضِ قَصْده ، فَقَصَمَهُ اللهُ قَاصِمُ الجَبَابِرَةِ ، وأَخَذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ "[1].

(1) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ٦٢٧ .

الخاتمة

الخاتمـــة

وبعد

فهذا بحث عن موقعة الحَرَّة ؛ تلك الموقعة التي حدثت في آخر شهر ذي الحجة مـــن السنة الثالثة والستين للهجرة ، في عهد الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية .

ولقد حدثت هذه الموقعة بسبب قيام أهل المدينة بشق عصا الطاعة ، والخروج عـــن الجماعة ، وخَلْعِ يزيد بن معاوية ، ووصفه بأمور بَرَّأَهُ منها محمد بن الحنفية ولم يـــوافقهم عليها ؛ كالفِسْـــق ، وترك الصلاة أو تأخيرها ، وشرب الخمر ، وغير ذلك .

وكان حدوثها في وقت كانت الدولة الإسلامية فيه تَمُرُّ بظروف صعبة تتسم بـــالتوتر والاضطرابات السياسية والسُّخْطِ على يزيد ؛ فقد سبقها قَتْلُ الحسينُ بنُ عليّ بكربلاء في المحرم سنة ٦١ هـــ ، وقام ابن الزبير في مكة يبايع الناس لنفســـه سرًّا ، وأظهر أنه عائذ بالبيت ، فَعَلا أمْرُه ، وكاتبه أهـــل المدينـــة واشرأبَّ الناس إليه ومَدُّوا إليـــه أعنـــاقهم ، وظنوا أن الأمْرَ تَامٌّ له .

ولقد حاول يزيد بن معاوية اســـتدراكَ الأمر ووأْد الفتنة في مهـــدها ، فأرســـل إلى عثمان بن محمد عامله على المدينة أن يُوَجِّهَ إليه وفداً من أهلهـــا ؛ ليســـتمع مقـــالتهم ، ويستميل قلوبهم ، فذهب الوفد إليه ، فأكرمهم يزيد وأحسن إليهم ، وَوَصَلَ كُلَّ واحـــد منهم بخمسين ألف درهم ، فانصرفوا من عنده ، ولَمَّا وَصَلُوا إلى المدينة ؛ أظهروا شَـــتْمَهُ وقاموا بخَلْعِه ، وتابعهم الناس علي ذلك ، فقام يزيد بن معاوية بإرسال النعمان بن بشـــير الأنصاري إليهم ، فاستنهاهم من أنفسهم ، وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعـــة ، وخَـــوَّفَهُم الفتنة ، وحَذَّرَهُم جنودَ أهل الشـــام ، ورغَّبَهم في بيعة يزيد ، ولكنهم أصروا علي خلعه ، فكان لا بد من قتالهم . ولذلك جَهَّزَ لهم يزيدُ جيشا كبيرا –اختلف المؤرخون في عدده–

وزَوَّدَهُ بكل ما يحتاجه من خيل وسلاح وعتاد كامل ومئونة لازمة ، وأسند قيادته لمسلم بن عقبة المرّي .

وكان يزيد يتمنَّى أن يرجع أهل المدينة إلى الجماعة ، وأن يعودوا إلى السمع والطاعة ؛ ليعفو عنهم ويتركهم ، وكان علي استعداد لأن يعطيهم عطاءهم مرتين في العام ، وأن يجعلهم يعيشون في رَغَدٍ من العيش كأهل الشام ، ولذلك توجه بتعليماته إلى مسلم بن عقبة قائد الجيش قائلاً : " إذا قَدِمْتَ المدينة ولم تُصَدّ عنها ، وسَمِعُوا وأطاعوا ، فلا تتعرض لأحد منهم ، وامض إلى ابن الزبير ، وإن صَدُّوكَ عن المدينة فادْعُهُم ثلاثاً ، فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكُفَّ عنهم ؛ وإلا فاستعن بالله وقاتلهم ".

ونَفَّذَ مُسْلِمُ بن عقبة تعليمات يزيد ؛ فدعا أهلَ المدينة إلى الرجوع للجماعة ، وأَمْهَلَهُمْ ثلاثا ، ولكنهم أصروا علي موقفهم ، وأكدوا خَلْعَهُم ليزيد ، واختاروا القتال ، فلم يكن هناك بُدٌّ منه .

وبدأت المعركة ، وانهزم أهل المدينة ، وقُتِلَ منهم عدد كبير ، ووقع شَرٌّ عظيم ، وفَزِعَ مَنْ كان بالمدينة من الصحابة .

وقد اتضح لي خلال البحث أن مسألة إباحة المدينة –كتعليمات ليزيد بن معاوية ، أو كواقع فعلي حدث لأهل المدينة بعد المعركة– مشكوك أصلا في صحتها ؛ لأنها مروية مِنْ طريق أبي مخنف لوط بن يحي ، وهو من الشيعة الذين يكرهون الأمويين ويُكِنُّونَ لهم عداءً كبيرا ، فضلا عن أنه ضعيف وليس بثقة ، وبالتالي فإن لنا أن نطمئن إلى أنها لم تحدث إطلاقا .

كما اتضح لي أن مسألة هتك أعراض النساء بالمدينة وَفَضِّ أبكارهن –بعد الموقعة– لم تكن ضمن تعليمات يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة قائد جيشه عندما أرسله بالجيش

إلى المدينة ، ولم تُذْكَر في أيٍّ من المصادر التاريخية الموثوق بها ؛ بسند صحيح تطمئن النفس إليه ، وإنما ذُكِرَت في بعض الكتب متضمنة ما يضعفها ويبطلها ؛ فهي إما ذُكِرَت مِنْ طريق ضعيف ، أو من طريق مجهول ، أو بسند ناقص ، أو بدون سند ودون ذكر للمصدر المنقول عنه ، أو ذُكِرَت في بعض الكتب التي عُرِفَ مؤلفوها بتَشَيُّعِهِم وكُرْهِهِم للأمويين ، فضلا عن أن ثلاثة فقط من هذه المصادر هي التي عبَّرَت عن هذه المسألة بألفاظ صريحة يُفْهَمُ منها هتك العرض والحَمْل سفاحا –وهم اليعقوبي ، وابن الجوزي ، وابن طباطبا– الأمر الذي يؤكد أن هذا المسألة مختلقة ولا أساس لها من الصحة ، ويجعلنا نطمئن إلى أنها لم تقع أصلا .

وأخيراً ظَهَرَ لِي من خلال البحث أن أهل المدينة لم يكن لهم حَقٌّ في الخروج على يزيد بن معاوية وخلعه ؛ لأن السبب الذي أعلنوه كمبرر للخروج عليه وخَلْعِهِ غير صحيح، وبالتالي فإن المسئولية فيما حدث تقع عليهم ، وقد كان يجب علي يزيد بن معاوية أن يصبر عليهم إلى أبعد مدى ؛ لأنهم أنصار الرسول وأحباؤه الذين آووه ونصروه ، وبسيوفهم دانت له العرب ، ومات الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وبهم قرير العين . ولو كنت مكان يزيد بن معاوية لَصَفَحْتُ عنهم أَلْفَ مَرَّةٍ ، ولنأيت بنفسي عن أن أكون ضمن مَنْ تشملهم أحاديث الرسول ﷺ التي وردت في تغليظ عقاب مَنْ يخيفهم أو يريدهم بسوء ، ولكنَّ قَدَرَ اللهِ لا يُرَدّ ، ولله الأمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ .

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث وما خرجت به من نتائج ، وأن أكون قد مهدت السبيل إلى مباحث أخرى في موضوعه أكثر استفاضة وعمقاً ؛ ولقد بذلت من الجهد في ذلك ما وسعته طاقتي وما يَسَّرَهُ اللهُ لي ، فإن أَكُ قد وُفِّقْتُ فلله الحمد والمنة ، وإن جانبني التوفيق فى شيئ ؛ فالكمال لله وحده ، والخطأ والنسيان من صفات البشر ، وأسأل الله أن يهديني أولو العلم ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا

إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

(1) سورة البقرة ، آية رقم ٢٨٦ .

المصـادر والمراجـع

المصادر والمراجع[1]

أولا ـ المصادر العربية :

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ)

١ – "الكامل في التاريخ" ، طبعة دار صادر ، بيروت ، لبنان ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م

ابن أعثم : أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ)

٢ – "كتاب الفتوح" ، الطبعة الأولي بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند . دار الندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان .اعتني بتصحيحه والتعليق عليه : مصحح دائرة المعارف العثمانية السيد محمد عظيم الدين .

البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)

٣ – " متن البخارى بحاشية السندى " . طبعة دار إحياء الكتب العربية .

البلاذري : أحمد بن يحي بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)

٤ – "كتاب جمل من أنساب الأشراف" ، الطبعة الأولي ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، حققه وقدم له : د/ سهيل زكار ، و د/ رياض زركلي .

---

(١) رتبت المصادر أبجديا حسب الاسم المشهور للمؤلف ، وبدون اعتبارٍ للملحقات (أبو ، وابن ، وأم)، و رتبت المراجع أبجديا حسب الاسم الحقيقي للمؤلف .

ابن تغري بردي : يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ)

٥ – "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب بالقاهرة، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)

٦ – "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" ، الطبعة الأولي ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ، و مصطفي عبد القادر عطا . راجعه وصححه : نعيم زرزور .

ابن حجر : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)

٧ – "لسان الميزان"، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

ابن حنبل : الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ)

٨ – " المسند " . دار صادر ، بيروت .

ابن خياط : خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت ٢٤٠ هـ)

٩ – "تاريخ خليفة بن خياط" ، الطبعة الأولي ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه : د/مصطفي نجيب فواز ، و د/ حكمت كشلي فواز .

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)

١٠ – "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" ، الطبعة الأولي ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان . تحقيق : الدكتور/عمر عبد السلام تدمري.

١١ – "المغني في الضعفاء" ، بدون بيانات الطبعة، حققه وعلق عليه : نور الدين عتر.

١٢ – "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان . تحقيق : علي محمد البجاوي .

ابن سعد : محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠ هـ)

١٣ – الطبقات الكبري ، طبعة دار صادر ، بيروت ، الجزء الخامس .

السيوطي : جلال الدين (ت ٩١١ هـ)

١٤ –"تاريخ الخلفاء" ، الطبعة الأولي١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م ، بمطبعة السعادة، نشر المكتبة التجارية الكبري بالقاهرة . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

ابن طباطبا : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ)

١٥ – "الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية" ، دار صادر ، بيروت.

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)

١٦ – " تاريخ الرسل والملوك " ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ)

١٧ – "المختصر في أخبار البشر"، الطبعة الأولي بالمطبعة الحسينية المصرية.

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)

١٨ – "الإمامة والسياسة" ، الطبعة الثانية ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م ، مؤسسة الوفاء ، بيروت. ملتزم الطبع والنشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي .

ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)

١٩ – " البداية والنهاية " ، ج ١١ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان .

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)

٢٠ – "التنبيه والإشراف" ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثني ببغداد . عني بتصحيحه ومراجعته : عبد الله إسماعيل الصاوي .

٢١ – "مروج الذهب ومعادن الجوهر" ، طبعة دار الفكر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

مسلم : الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ)

٢٢ – "صحيح مسلم". الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، دار الحديث، القاهرة.

ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ)

٢٣ – " لسان العرب ". الطبعة الأولي ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، دار صادر ، بيروت، لبنان . ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ)

٢٤ – "نهاية الأرب في فنون الأدب"، الجزء العشرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

ياقوت الحموي : ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ)

٢٥ – "معجم البلدان" ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر . بيروت .

اليعقوبي : أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤ هـ)

٢٦ ـ "تاريخ اليعقوبي" ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٤٧٩ هـ / ١٩٦٠ م.

ثانيا ـ المراجع :

أحمد أمين . (د)

٢٧ – "ظهر الإسلام" ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

أحمد شلبي (د)

٢٨ – "التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية"، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية

حسن إبراهيم حسن (د)

٢٩ – "تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي" ، الطبعة السادسة ١٩٦٤ م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

روزنثال

٣٠ – "علم التاريخ عند المسلمين" ، نشر مكتبة المثني ، بغداد ١٩٦٣ م .

السيد عبد العزيز سالم (د)

٣١ – "تاريخ الدولة العربية" ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٧٤ م.

عبد الشافي محمد عبد اللطيف (د)

٣٢ – "العالم الإسلامي في العصر الأموي"، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

عبد المنعم ماجد (د)

٣٣ – "التاريخ السياسي للدولة العربية ، العصر الأموي" ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م ، مكتبة الأنجلو المصرية .

علي إبراهيم حسن (د)

٣٤ – "التاريخ الإسلامي العام"، الطبعة الثالثة ١٩٦٣م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة

علي حسني الخربوطلي (د)

٣٥ – "الدولة العربية الإسلامية"، طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٠م ، القاهرة

محمد الخضري (الشيخ)

٣٦ – "محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: الدولة الأموية"، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

محمد أبو الفضل إبراهيم (د)

٣٧ – "أيام العرب في الإسلام" ، الطبعة الرابعة ١٩٧٤ م ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

الفهـرس

الفهـــرس

العنـــوان **رقم الصفحـــة**

المقدمة ٣٩٠٣
الظروف التي في ظلها حدثت موقعة الحرة ٣٩٠٩
مقدمات الموقعة ٣٩١٢
تجهيز الجيش وتسييره ٣٩١٧
استعداد أهل المدينة للحرب ٣٩٢٢
وصول جيش الشام إلي المدينة ٣٩٢٨
المعركة ٣٩٣١
إباحة المدينة (نهبها) ٣٩٣٧
مسألة هتك أعراض النساء بالمدينة ٣٩٤١
كثرة القتلى ٣٩٤٧
بيعة أهل المدينة ليزيد ٣٩٥٥
سؤال مهم ٣٩٥٧
الخاتمة ٣٩٦١
المصادر والمراجع ٣٩٦٧
الفهرس ٣٩٧٥